وعود وردية

وحصاد مر

فضل محمد عيدروس العفيفي

وعود وردية وحصاد مر

فضل محمد عيدروس العفيفي

رقم الإيداع بدار الكتب (٥٦٢) - صنعاء: ٢٠١٠م
الطبعة: الأولى ٢٠١٠م

الموضوع	رقم الصفحة



إنجازات الحزب الاشتراكي

من نوفمبر الاستقلال إلى مايو الوحدة
وهل في الصراعات وعدم الاستقرار خير ؟!

سألني صديق عن إمكانية أن أكتب قراءتي لتاريخ أو أحداث الفترة التي حكم فيها الحزب الاشتراكي المحافظات الجنوبية من اليمن ، بإعتبار أنه احتكر كتابة التاريخ في فترة حكمه وجعله مؤمماً وقطاعاً عاما ،ولم يسمح بكتابة التاريخ المجرد، بل قام مؤرخوه ومنظروه بإعادة كتابة التاريخ للجزيرة العربية واليمن والعقيدة الإسلامية وفقاً لما تقتضيه مصلحة بناء الاشتراكية العلمية وتثبيت النظرية الماركسية اللينينية لبناء الدولة والمجتمع في ما كانت تسمى بـ« اليمن الديمقراطية »، كما كانوا يعتقدون، وباعتبار أنه امتدح ومجّد تاريخه وذم أو مسخ أو ألغى ما سواه من التاريخ . فأجبته بأنني لست مؤرخاً ولكنني سأكتب وفق قراءتي للأحداث التي جرت في تلك الفترة.

ولأننـــي أعتقد بأن أي باب للشر ينفتح تظل الشرور تمرق مـــن خلاله، متلاحقـــة، إلى أن يأتي مـــن يستطيع إغلاقه ، لهذا سأجعل بداية حديثـــي عن الشر وفعله وتأثيره على أمثلة من المجتمعات التـــي عانت من الأفكار والشطحات الشريرة والتي عدها الحزب الاشتراكي حينها قدوته ، ثم بعد ذلك أتطرق لما حدث لما كان يُعرف بـ « الشطر الجنوبي» مـــن اليمن تحـــت وصاية الاتحـــاد السوفييتـــي « السابق » وتقليداً لتلك القدوة.

لقد خلق الله الإنسان ليعبده ويكون خليفته في الأرض، ولكـــي يمتحنه؛ أيكفـــر أم يشكر على مـــا أحاطه به الخالق من نعـــم ؟ ويتمثل ذلك إما في تقوى اللـــه وعبادته والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإما في الكفر به والإعراض عـــن أوامره ونواهيـــه.. كذلك وفي إطـــار الامتحان الرباني أوجد الخير والشر وأوجد الدروب الموصلة إلى كليهما..

وفي فلسفة الإنسان وتعريفه لكل من الخير والشر قيل إن كليهما نسبيٌّ، فلا يوجد شر مطلق ولا خير مطلق وإن الله قد بصّر الإنسان بالخير المطلق، لكنه لا يحقق إلا الخير النسبي ، وبصره بالشر ، لكنه لا يحقق الابتعاد الكلي عن الشـــر .. وهذه قضية إيمانيـــة لا يأخذ بها غير المؤمنين. وكل إنســـان تكوّن وولـــد من نفس المكونـــات وبنفس الطريقة ومفطور بنفس الفطرة ، إلا أن المراحل اللاحقة هي التي تُعيد

تشكيل الإنسان نفسياً وأخلاقياً، ولها أسبابها وظروفها . ويسعى الإنسان، في كل أرض وزمان إلى كسب معيشته الأساسية، فإن بلغها طمح إلى ماهو أعلى منها؛ دخلاً ومرتبة ، وارتقى في طموحه إلى أن يصل مراحل الرغبة الشديدة لامتلاك القوة. والمال قوة والسلطة قوة والمعرفة قوة . المعرفة قوة فردية في المجتمعات غير المتطورة، وقوة تكاملية في المجتمعات المتقدمة. ووسائل تحقيق القوة متعددة ، منها ماينضوي تحت مظلة الخير ومنها مايدخل أوكار الشر . والرغبة الحثيثة في الامتلاك بشتى أنواعه قد تكون هي الدافع الأول والأقوى لارتكاب الشرور.

أما الرغبة بالسعادة، الناتجة من إسعاد الآخرين فهي الدافع نحو تحقيق الخير بصوره المتعددة. وفي كلا الصنفين من يكون مسلكه بإرادته واختياره ، وفي كليهما من ساقته الصدف والظروف. وظروف النشأة تلعب دوراً كبيراً في اختيار المسلك.

إغراءات السلطة وبريقها تجذب الكثيرين من البشر. ومن يسعى إليها فإن طريقها لاتخلو من الوقوع في الشرور أو من ارتكابها ، لكن هناك من يختزل شرور مسلكه إلى الضروري لكي يحقق أهدافه ، وآخرون تركبهم الشرور من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم فيصبحوا لعنة على قومهم وأهليهم . والأنكى أن يظن هؤلاء أنهم يسعون إلى

خير قومهــم ورفعتهم. ومثل هؤلاء إمــا أنهم لايميزون بين قيمــة مايفرضون على قومهم تقديمه مــن ويلات ومآس ، وجدوى مايسعون إليه ، وإما أنهم مُدّعون وأفّاقون ويمارسون «الديماغوجية»[1]، كي يكيفوا الظـروف للوصول إلى القوة والمصلحــة علــى أنها شئــون تحقق احتياجــات ومطالب قومهم في الحياة العادلة والكريمة والمتساوية الحقوق ، وإما أنهــم طوباويون ويجهلــون أن مايدّعون به لا يوجد إلا في مخيلتهم، ولايمكن تحقيقــه في الواقع لتعارضه الشديد مع طبيعة البشر.

هناك من الناس من تسعى السلطة إليه - وهم قليلون - ويقع اختيار قومهم عليهم؛ إما لصلاحهم ، أو لعلمهم، وإما كحــل وسط بين مختلفين. ويأتــي مثل هؤلاء عقب أزمات سياسية أو اجتماعية.

الإنسان قد جعل علاقته مع أخيه الإنسان علاقة صراع ونــزاع ومنافسة - يستثيرها الطمــوح والغيرة والحسد - أكــثر منها علاقة تواصل وســلام . فهل هي قضية قدرية أزليــة، بدأت مــن عهد هابيل وأخيه قابيــل أم تتحكم بها نزعــات النفســ البشرية لتحقيــق الاختبــار الإلهي ؟ . والإنســان في طريقــه الساعي نحو امتــلاك القوة لابد أن يختلف مع آخرين؛ إما لكونهم أطرافاً منافسة يودون تحقيق

(١) هي مجموعة الاساليــب التي يتبعها بعض السياسيون لخداع الشعب واغراءه ظاهريا للوصول الى السلطة وخدمة مصالحهم .

نفس الأمر ، وإما لأنهم لا يوافقونه على مسعاه لشكهم في أمـر الاثنين (الساعي والمسعي إليه). وفي كل الأحوال فإن المصلحة هي التي تخلق الاختلاف وتحدد الاتجاه. ولاضير في السعـي نحو المصلحة الشخصية والعامة كهدف إن لم تكن بأي وسيلة وبأي ثمن، لأن العصامية والإيثار صفتان نادرتـان بين البشر. والاختلاف في الـرأي قد يأتي نتيجة اختـلاف علم الإنسان، أو نتيجة لاختلاف الفهم، أو نتيجة لاختلاف الأخلاق والمعتقـد، أو نتيجة لاختلاف المصالح، وهي المؤثر الأكبر في التباينات والاختلافات.

العوامل المذكورة لاختلاف الرأي كل منها ذات شقين ، سلبي وإيجابي . أو بمعنـى آخر فإما أن يلامس أمور الخير وإما أن يرافق أمور الشر . وفي معمعة الصراع التي يسعى الإنسان فيها لإشباع طموحه وتحقيق رغباته يحدث الظلم والاستغلال، خاصة إذا سعى الإنسان إلى السلطة أو بلغها وهو ممن تستهويهم وتستحوذ على عقولهم وقلوبهم، وهو في نفـس الوقت غير كفؤ لها كولي للأمر بالمعنى المعروف فيُشـرّع ويمارسٍ بما هو أهل بمستـوى كفاءته لولاية الأمر. وكفاءة الحاكم المثلى تتجلى في العدل والحلم والإيثار على النفس، بتغليب المصلحة العامة .

والظالمـون مـن البشر والطغـاة - غالباً - مـا تنقصهم الأحاسيس الإنسانية والنظـرة البعيدة والمتبصرة للأمور حين وجودهم في مركز القـوة والسلطة فلا تتمثل لهم إلا

لحظـات وقوعهم في حال ضحا،ياهـم، تماماً كما حدث مع «روبسبير » قائد الثورة الفرنسية وجلادها الذي بكى ولم تقو قدماه علـى حمله إلى المقصلة التي أعدم فيها الآلاف من الشعـب الفرنسي ، بينما تقدم ملك فرنسا بنفسه نحو المقصلـة ووضـع عنقه عليها وقال:« لوكنتـم ترون أن في إعدامي مصلحة لفرنسا فانا أضع رقبتي لذلك».

إن لكل أمـة كبواتها، وعصور مـن الازدهار. وصانعو كبـوات الأمم-هم- غالباً- من الذين يسعـون إلى قيادتها والذيـن يركبهـم الشطـط، فيركبـون موجـات المخاطر وموجات الظلـم والأهواء والمفاسد. وغالباً لا ينال الشعب مـن الوعود والأماني إلا مـا كان سيحدث تحت أي سلطة كانت، مضافاً إليه المعانـاة، بمختلف أنواعها. والصراعات على السلطة والنفوذ تتـم -غالباً- باسم الشعوب وناسها البسطـاء الذين تُدغدغ عواطفهم وتُستثار أحلامهم بالغد الأجمل والأكـثر رفاهية، فيدفعون أثمانـاً باهظة تسيطر عليهم الآمال المفترى عليهم بها.

هؤلاء القادة ينخرون هدراً من عمر أمتهم. سنينا وأحقاباً تُسجل في صفحـات الهبوط والانحطاط. ويكونون سبباً في حصد أرواح الكثيرين وشقاء الأكثر من أقوامهم.

وكنماذج قوية وواضحة على مثل هؤلاء القادة والقيادات المدعين بالإصلاح والرفـاه لأممهم التي لم تجن من ورائهم إلا الظلـم والإرهـاب والتخلف في أكـثر الأحيان – نورد

هنا ثلاثة من الذين شقيت أممهم بهم أشد الشقاء، وهتفت لهم وصفقت خوفاً ورعبا حتى تتجنب شرهم وطغيانهم. وهؤلاء هم « روبسبير » الرجل الأول في الثورة الفرنسية وفصيله جماعة « اليعاقبة » . و « ستالين » الزعيم الثاني للثورة الروسية وحزب البلاشفة . والثالث هو «بول بوت » قائد الخمير الحمر في كمبوديا. ولتكن البداية مع «روبسبير» الذي اعتقد أنه سيصنع الخير والعدل للمجتمع الفرنسي . وإليكم مختصراً لشرور هذا المدعي :





ماكسمليان روبسبير

ابـن أب فرنسيٍّ عاطـل عن العمل ومبـذر، من مدينة «اراسـ» . كان طالبـاً مجتهـداً وذكيـاً في المعهد العالي للفلسفـة الرومانية القديمـة وأنظمة الإصـلاح في تاريخ الشعـوب. بعد ذلك اهتم بدراسـة القانون وأُنتخب عضواً في أكاديميـة « واراسـ»، وحصل على وسـام الثقافة من أحد المعاهد عن مقاله الشهير « إن المجرم يجب أن يُعاقب بمثل جرمه ». وعمل ككاتب وسياسي إلى جانب المحاماة . كان متحمساً لآراء الفلاسفة الذين كانت أطروحاتهم من أسباب قيـام الثورة الفرنسية - بالإضافة إلى خلو خزينة

الدولــة - أمثال «جان جــاك روسو» ، «فولتير» ، «ديدرو» و «مونتسكيو». وانتخب رئيساً لنادي اليعاقبة Jacobin «حزب الجبل» . وأصبــح يُعرف كعدو لدود للحكم الملكي وداعية للإصلاحــات الديمقراطية والأمــن والقضاء على الإرهــاب ومحارب للفســاد. كان نحيــلا وصغير الجسم وجباناً لكنه كان خطيبــاً مفوهاً، قادراً على السيطرة على الجماهير بحسن إلقائه وبالشعارات التي كان يطلقها، كما كان مغــروراً معتقداً أن بقــاءه في الحكم هو السبيل لإنقاذ الجمهوريــة. وخُيّل إليه أن الروح الحي للجمهورية قد نشأ بخنق روح الملك والملكيين واعتقاده بأنه لم ولن يخطئ أبدا وهكذا رأى في نفسه مصدراً للقوانين.

كانت بداية الثــورة الفرنسية في ١٤ يوليو ١٧٨٩م بإعلان تشكيل الجمعية الوطنية، بديلاً عن مجلس طبقات الأمــة، و بسقــوط سجــن «الباستيــل». وعُقــدت عشية ذلــك اليوم عدة اجتماعــات حماسية تآخــى فيها النبلاء والفلاحون ؛ مجــاراة لما ورد في شعارات الثورة المعروفة : الحرية والمساواة والإخــاء. وكان هناك تطلع شعبي لشيء جديــد، خارج عــن المألوف مثــل قيام الحكومــة الصالحة وحدوث المعجزة.

بــدأت حملات نهــب أمــلاك النبلاء ولم يعــد الجيش والجندرمة تنصاع لأمر الملك لوقف تلك الفوضى. وظهرت الجمعيات الثقافية والسياسية والأندية، خاصة ذات الطابع

الثـــوري. ومنها " نادي اليعاقبـــة " والذي مارس منتسبوه ديكتاتوريـــة مفرطة، وصدرت وثيقة حقـــوق الإنسان في أول أغسطس من نفس العام.

تمت عمليات قتل غوغائية بعد سقوط سجن الباستيل، وباستخـــدام الفؤوس والسواطير. "وسجن الباستيل حين سقوطـــه لم يكن فيه ســـوى سبعة مساجـــين؛ ثلاثة منهم مجانـــين." وحينهـــا بـــرر "روبسبـــير" عمليـــات القتل أو الإعدامـــات تلـــك والتي جرت في أعقـــاب الثورة من قبل الغوغـــاء من دون محاكمات بوصفها " بالقضاء الشعبي". علـــى أنه في الجانب الآخـــر أخذ يدعـــو إلى توفير الحرية التامـــة للصحافة، على النمـــوذج الأميركي، ويدعو كذلك إلى حريـــة دينية أكثر مما تضمنه الإعلان الجديد للحقوق، وعارضـــ بشـــدة عقوبة الإعدام، قائلاً عنهـــا: " إن عملية قطـــع المنتصر لرؤوســـ أسراه هو عمل يتصـــف بالبربرية ،وإن مـــن يذبح طفلاً ضالاً يمكن إصلاحـــه ومعاقبته، فهو شخص متوحش" !!.

في ٢١ سبتمبر ١٧٩٢م ألغيت الملكية في فرنسا وتم اعتقـــال الملك ووجهت له تهمـــة التآمر ضد الأمة وحوكم أمـــام جمع من القضـــاة ودافع " لويســـ السادس عشر" عـــن نفسه بقوة وبطريقـــة كادت تقنع القضاة، لولا تدخل "روبسبـــير" الـــذي قال كلماتـــه الشهـــيرة: " هذه ليست محكمـــة "ولويس" ليس سجيناً في أحـــد البارات القذرة

وأنتم لستم قضاة لتحكموا عليه ولكنكم ممثلو النهضة ويجب أن لا تطلقوا عبارة الموت ضد رجل واحد . . ولكنكم تخاطرون من أجل حفظ أمن الأمة. ولكن مع كل هذا فالحقيقة المرة أو القاسية هي : لويس يجب أن يُقضى عليه من أجل سلامة آلاف الأبرياء من المواطنين البسطاء . . .لويس يجب أن يموت، وبموته ستعود البلاد إلى النهضة من جديد ". وصدر حكم الإعدام ونفذ في ٢١ يناير ١٧٩٣ م."وهكذا دُشن إرهاب الدولة الذي تطور ونما مما يبدو أهدافاً وغايات مثالية ونبيلة.

بعد إعدام الملك سيق الآلاف إلى المقصلة بتهمة معاداة الثورة، وتم تكوين الأمن العام بقيادة " دانتون " أشد اليعاقبة تطرفاً ودموية ، ثم وبعد إعدام الملك وزوجته وهروب النبلاء إلى بريطانيا انشق اليعاقبة إلى قسمين متناحرين على السلطة تحت مبررات وطنية وثورية وهم " الجيروند" المعتدلون ويحظون بتأييد الريف الفرنسي "واليعاقبة" وهم الأقوى في باريس والذين منهم " روبسبير" . ودخل الطرفان اليساريان في صراع دموي مع تبادل الاتهامات. وبدأت حملة ملاحقة " الجيروند " وسجنهم ثم إرسال الكثير منهم إلى المقصلة. وقد بدأ عهد اليعاقبة الذي وصف بالإرهاب في أغسطس ١٧٩٢ م، وبلغ ذروته مع نكبة " الجيروند " على أيدي رفاقهم . واعتمد اليعاقبه في سلطتهم على محكمة الثورة والمقصلة ممارسين السلطة

والإرهاب طوال الوقت، باسم الشعب والثورة . وقد خلف " روبسبير " دانتون في قيادة الأمن العام بعد أن أعدمه مع آخرين من رفاقه وأصدقائه - ومنهم صديقه" ديمولين " الذي أصدر كتاباً بعنوان " كوردليه العجوز " دعا فيه إلى الرحمة والاعتدال - لتوجسه خيفة منهم، وذلك في يوليو ١٧٩٣م.

لم تقتصر الإعدامات على أنصار الملكية وأعداء فرنسا، بل توسعت وامتدت إلى إعدام علماء ومفكرين في كافة التخصصات، لأن قادة الثورة شكوا في ولائهم أو لأنهم توانوا في أداء مهامهم . وعُوقبت مدن فرنسية مثل "ليون" و "طولون" عقوبات جماعية لإظهارها التململ من غوغائية الثوار وديكتاتوريتهم.

في عام ١٧٩٤م صدر قانون " التشكيك " الذي نص على أن الأشخاص يمكن أن يُعتقلوا ويعاقبوا بالموت بسبب تصرفاتهم أو علاقاتهم أو كلماتهم أو كتاباتهم أو ممن يطرحون أنفسهم على أنهم مناصرون للطغيان ، كما أصدر " روبسبير" قانونا رفع فيه الحصانة عن أعضاء المؤتمر الوطني. وكدليل يطرحه المؤرخون على شدة إرهاب تلك الفترة فإن ستة عشر ألف مواطن أعدموا رسميا خلال تسعة أشهر فقط. وأورد البعض أنه في إحدى الفترات تم إعدام ستة آلاف مواطن، خلال مايقارب ستة أسابيع، وأن إجمالي عدد الذين تم قتلهم بالمقصلة خلال أقل من سنتين

من تسلط اليعاقبة ورأسهم " روبسبير" وفترة توليه للأمور التي دامت حوالي أربع سنوات، قد بلغ حوالي ثلاثين وقيل أربعون ألفا.

أعلن " روبسبير" أن فرنسا تسبق الدول الأوروبية بألف عـام، وعليه لابد مـن جعل تاريخ فرنسا يبـدأ من تاريخ الثورة. وأعاد ترتيب الشهور وأسمائها وأيام الأسبوع من سبعـة أيام إلى عشرة أيام، وظـل الأمر كذلك إلى أن جاء "نابليـون" بعد حوالي عشر سنوات ، كما تفتح عقله عن فكرة ديانة جديدة أسماها " عبادة العقل ". وقطعوا علاقة فرنسا بالفاتيكان وأغروا القساوسة على ترك الكاثوليكية وفي نهايـة عـام ١٧٩٣ م أغلقت جميـع الكنائس في باريـس وحولت ٢٤٠٠ كنيسة إلى مـا أسمي بـ"عبادة العقل".

اليعاقبـة، بدورهم وصراعاً من أجـل السلطة، انقسموا إلى ثلاثة أقسام. ولكل قسم أنصاره. وانخرطوا في حرب بينية. وكل مجموعة ترسل مناصري المجموعة المنافسة إلى المقصلة وكل منها تسعـى للانتصار والاستئثار بالسلطة وخوفا من أن ينالها الطرف الآخر فيتم التنكيل بها.

في صيـف عام ١٧٩٤ م وبسبب خـوف أعضاء المؤتمر الوطني مـن قـرارات وقوانـين روبسبير التـي أصبحت تهددهـم وبسبب كثرة تململ الفئـات التي كانت مناصرة للثورة والجمهورية والتي سئمـت المشاهد الدموية ورؤية

العربـات تحمل، يوميا، أفواجاً مـن الناس من السجن إلى المقصلة فقد تآمروا عليه وهاجموه في مبنى دار البلدية مع أعوانه وأصيب بطلقة في فكه وتم نقله إلى السجن ثم إلى المقصلـة في اليوم الثاني مـع تسعة عشر من أعوانه حيث حُوكم، سريعاً، بتهمة عـدم الإخلاص للثورة ليشرب من نفس الكأس التي أذاقها لآلاف الفرنسيين.

في ١٢ من شهر نوفمبر ١٧٩٤م أغلق نادي اليعاقبة وبـدأت أحـكام الإعدام تقل، وأطلق سـراح من بقي حياً مـن أعضاء الجيروند في السجـون. في حين كانت فرنسا تقاسـي الفقر واضطراب أوضاعهـا عامة، بأشد مما كانت عليه الحـال قبل قيام الثورة ، وكلهـا أمور مهدت لصعود "نابليـون بونابرت" الذي ألقى بأهداف الثورة خلف ظهره وأعاد الملكية لفرنسا.



جوزف ستالين

اسمه الحقيقي «جوزيف فيساربو نوفتش دجوغاشفيلي « وقيــل إن « لينين « سماه بــ» ستالين « عام ١٩١٣ م، بعد حادثة قــام بتنفيذها وتعني الرجل الحديدي. كان من أســرة جورجية فقيرة اشتغل والــده « إسكافيا » ووالدته منظفــة ملابس. والدته التــي هجرها والده المعاقر للخمر أرسلتــه إلى المدرسة الأرثوذوكسية عندما كانٍ في الحادية عشرة من عمــره، لرغبتها في أن يصبح كاهناً. وقد فُصل منهــا نتيجة لأفكاره ونشاطاته المناهضة لتعاليم الكنيسة،

وتأخره عن أداء الاختبارات بسبب نشاطاته الحزبية. ونُفي إلى سيبريـا لمدة أربع سنوات، وعـاد منها بعد قيام الثورة البلشفية باعتباره عضواً في الحزب الشيوعي.

بعد وفاة لينين عام ١٩٢٤ برز اسمه مع « تروتسكي » كأبرز شخصين لخلافته . استطاع استقطاب معظم أعضاء المكتب السياسـي واللجنة المركزية للحزب ، لذلك حظي بتأييـد الأكثريـة في المؤتمر العام للحـزب الشيوعي الذي انعقد أواخر عام ١٩٢٤ م .تألفت رئاسة الدولة من ثلاثة : ستالين ، كامينيف ، و زينوفيف . وفي هذه الفترة نبذ ستالين فكـرة الشيوعية العالمية التـي كان يتبناها « تروتسكي » لصالح الشيوعيـة المحلية ، ثم انقلب على « كامينيف » و « زينوفيف »، وبالتحالف مع « بوخارن » و « ريكوف » من التيـار اليميني في الحزب . وبعد شهور أضعف « بوخارن » وأزاحه من القيادة وأصبح هو القائد الأوحد.

انطلق من فـوزه الحزبي نحو تصفيـة كل من يعتبرهم منافسيـه أو خصومـه السياسيـين، فأخـرج تروتسكـي مـن الوزارة، ثم مـن الحزب الشيوعي، ثم نفـاه إلى تركيا فالمكسيـك حيث دبر عملية اغتيالـه هناك كأكبر منافس يخشـى منه . وطـرد زميليه « كامينيـف » و « زينوفيف » وقاد حملة اعتقالات ومحاكمات انتهت بإعدام الآلاف من رفاقـه وأعوانه من الحزب الشيوعـي لكي يضمن سلامة وأمان المحيط الذي حوله.

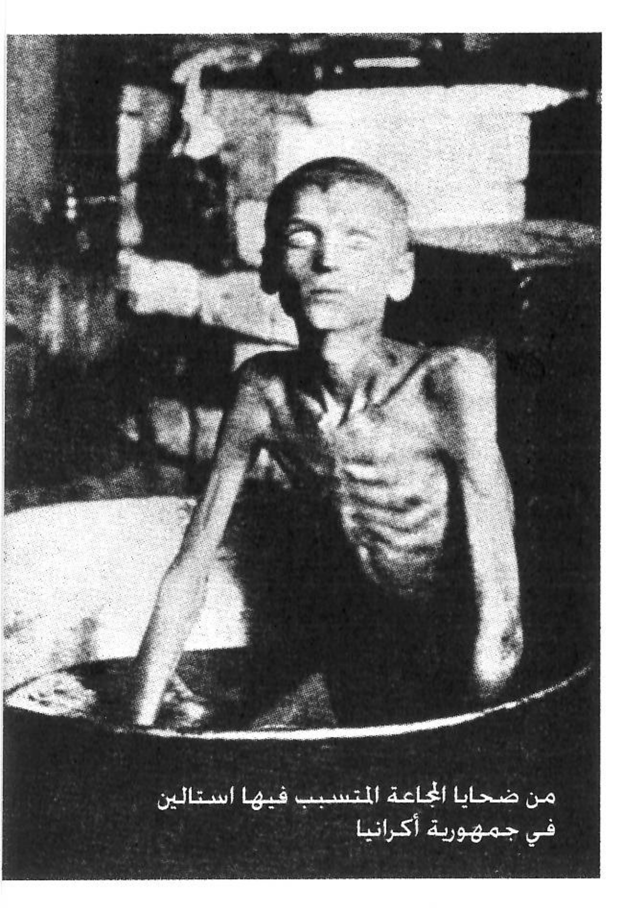
مثّل ستالين أكبر طاغية وأعظم جزار للبشر في التاريخ الإنساني. بدأ مجازره الفظيعة من عام ١٩٢٧م والى حال وفاته. ولولا فضحها من قبل خلفه «نيكيتا خرتشوف» لظلت معظم الفظائع التي ارتكبها سراً، والتي فاقت كثيراً ماقام به أستاذه لينين.

استبدل الانتماء الديني للشعب الروسي بالانتماء الشيوعي، وأمر بإحراق الإيقونات الدينية المسيحية في البيوت وهدم الكنائس ودور العبادة، وكذلك فعل مع الديانة الإسلامية ومعتنقيها في بعض جمهوريات الاتحاد السوفييتي المسلمة.

ولأنه، بطبعه، متحجر القلب فلا فرق عنده بين قتل شخص أو قتل آلاف الأشخاص، فقد تفوق في قتل السكان وترحيل الأعراق من مناطقهم إلى مناطق أخرى نائية وأجبرهم على السكن فيها، واشتهر عنه عقوبات النفي إلى سيبريا. وهي عبارة عن قارة في حجمها وسجن كبير من الاتحاد السوفييتي لا يستطيع إنسان السفر منها وإليها إلا عبر مواصلات النظام التي يشرف عليها الأمن والمخابرات. واستُدل على كبر حجم التصفيات التي تمت إبان حكمه، وبشكل غير مباشر، من النقص الكبير جداً في عدد الذكور وارتفاع نسبة الأيتام المشردين في الشوارع. كان ستالين يعيش هاجس وجود معارضين يتربصون بنظامه الاشتراكي، لذلك كان يصدر قرارات

فردية بإعدام الملايين، لمجرد الشك والريبة في ولائهم. ولم يتبق من قيادات الحزب البلشفي نفسه غير ستالين ووزير خارجيته « مولوتوف »، بعد أن أباد جميع من أسماهم بالمتخاذلين والانتهازيين من قيادة الحزب البلشفي. ويُذكر أنه في ليلة واحدة « ٨ ديسمبر ١٩٣٨م » وقع قائمة بإعدام ثلاثين ألف رجل، ثم اتجه لمشاهدة فيلم بعنوان «الرجال السعداء».

فرض ستالين على المزارعين نظرية المزارع التعاونية وبيع المحصول للدولة، بالسعر الذي تحدده، مما أضر بمصالح كبار المزارعين الذين أطلق عليهم « الإقطاع ». وحاولت الدولة جمع المواشي، أيضا. في تعاونيات، وبيعها بالسعر الذي تحدده، ما حدا بالفلاحين إلى قتلها على أن يسلموها للدولة. وقد خلق ذلك أزمة في عملية الإنتاج الغذائي وأثار معارضة ومواجهات عنيفة بين السلطة والفلاحين استخدمت فيها السلطة القوات الخاصة لإرغام الفلاحين للدخول في التعاونيات الزراعية وإطلاق النار على كل من يرفض ذلك أو نفيه إلى سيبريا ... هذه الإجراءات أدت إلى مجاعة في العامين ١٩٣٢ و١٩٣٣م. وقد صرح ستالين أمام ضيفه « تشرشل » أثناء زيارته لموسكو في خريف عام ١٩٤٢م أنه تمت تصفية حوالي عشرة ملايين فلاح لرفضهم أو تململهم من ضم مزارعهم في تعاونيات اشتراكية.


من ضحايا المجاعة المتسبب فيها استالين
في جمهورية أكرانيا

المؤرخة الأنجليزية «كاثريـن ماردیل» تقدر ضحايا المجازر في عهـد ستالـين بخمسة مليون مواطن، بينما يقـدر قسم التاريـخ في جامعة موسكو العدد بسبعة وخمسـين مليـون، وتقديـرات الأديـب الروسـي المنشـق والحائـز علـى جائزة نوبـل «الكسنـدر سولزنيتـين» تـدور حـول ستـة وستـين مليـون مواطن خلال عهدي لينين وستالين.

عُـرف عنه أنه كان يردد «مـوت رجل حادث مأساوي. . وموت الملايـين مسألة إحصائية». ويبـدو أنه كان يرى ويـبرر لنفسه أن موت الملايين يساوي موت إنسان واحد، لا فرق إلا في الجانب العددي. لقد اعتبر الأمر من الجانب المادي ولم يهتم للجانب الإنساني والأخلاقي. ولماذا حكم


من ضحايا المجاعة المتسبب فيها استالين في جمهورية أكرانيا

أن يموت هذا الإنسان وهذه الملايين؟

بعد تسلمه السلطة انهارت الخزينة الروسية، فأمر بالاستيلاء على كامل محصول القمح من الفلاحين والملاك في أوكرانيا وتصديره لرفد الخزينة الخاوية ، مما سبب مجاعة قضت على ملايين المزارعين .. كانت له مشاريع صناعية طموحة في إطار تحويل المجتمع السوفييتي من مجتمع زراعي إلى مجتمع صناعي، تمكن من توفير السيولة اللازمة لها عن طريق التضييق على المواطن السوفييتي في المواد الغذائية . ومن جبروته ودمويته أن بلغ الخوف منه حدا جعل الجماهير التي تصفق، أثناء خطاباته في الاحتفالات والمناسبات، أن لاتتوقف عن التصفيق له حتى يُعطي إشارة بذلك.

توفي في مارس عام ١٩٥٣م بعد أن توعكت صحته في مأدبة عشاء بحضور وزير خارجيته « مولوتوف» و«خروتشوف» ووزير الداخلية « بيريا » والذي تفاخر

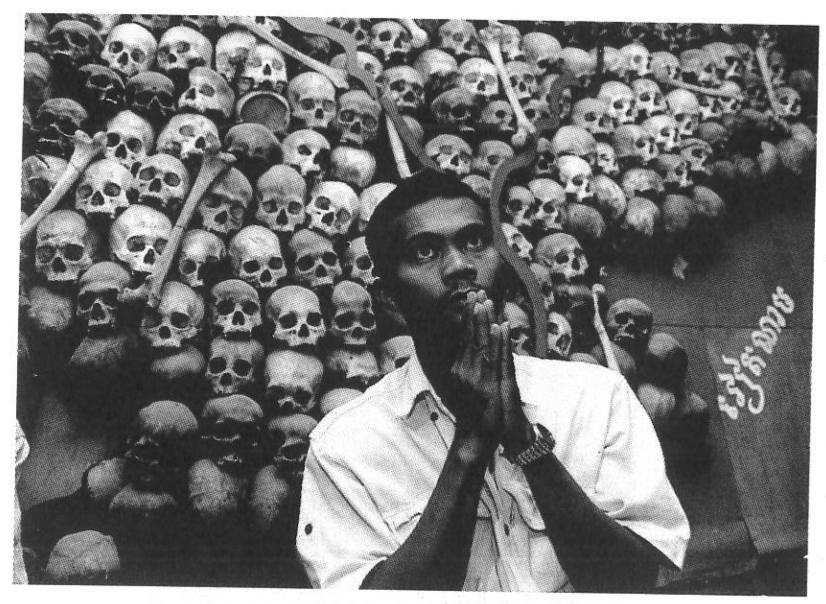
،لاحقــاً، وبعد وفاته أمام « مولوتوف» بأنه دس السم له في الطعــام ، ولولا تحالفه مع الدول المجابهة لألمانيا في الحرب العالمية الثانية لكان أكبر مجرم يُقدم أمام المحكمة الدولية بتهمــة ارتكاب الجرائم ضد الإنسانيــة . والعجيب أنه قد كــوّن مع الحلفــاء محكمة « نوتونمــبرج » لمحاكمة النازيين على جرائم الحرب التي ارتكبوها.





بول بوت

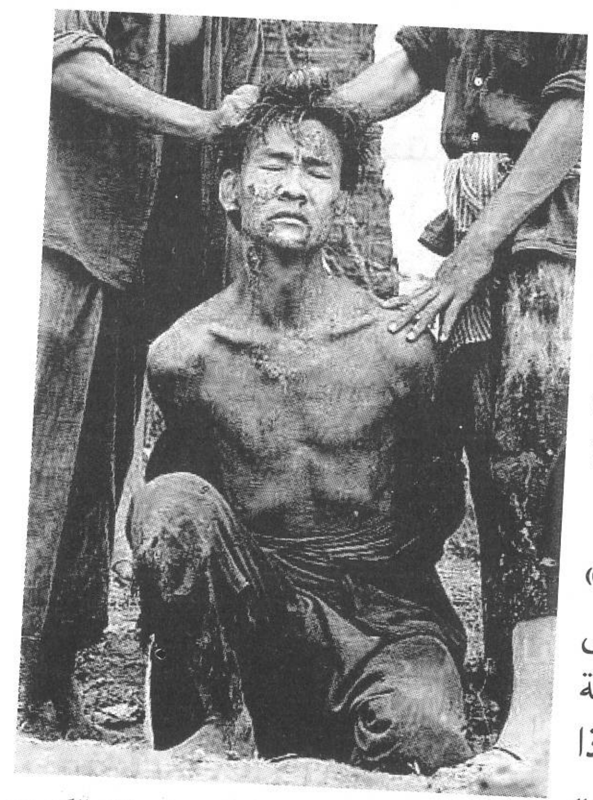
اسمه الحقيقي « سالوت سار ». تأثر« بول بوت » بالثورة وبالثقافة الفرنسية عندما كان يدرس في عاصمتها باريس بعد حصوله على منحة للدراسة فيها عام ١٩٤٩ م. عُرف عنه بأنه كان طالباً كسولاً وغير لامع، مهتم بالسياسة أكثر من الدراسة. وهناك عرف الماركسية عن طريق جمعية الطلبة الكمبوديين التي كانت مسيطرة على الحركة الطلابية الكمبودية في فرنسا، وذلك في فترة ازدهار الحركات التحررية في مختلف أنحاء العالم واستقطاب رموزها من قبل الاتحاد السوفييتي « السابق »، كما أنه



أحد عروض من مصفوفات من جماجم ضحايا بول بوت

انخرط في الحزب الشيوعي الفرنسي . ويؤكد المؤرخون بأنه لم يتعمق بدراسة النظريات الماركسية اللينينية ولم يأخذ من تلك النظريات سوى المواقف المتطرفة وكذلك الأمر مع بقية زعامات الخمير الحمر أو «الخمير روج » .

بدأت الحياة السياسية النشطة لـ« بول بوت » بعد دخوله صفوف الحزب الثوري للشعب الكمبودي «الحزب الشيوعي الكمبودي » عام ١٩٥١ م. وخاض معارك ذلك الحزب منذ تأسيسه . وكان الهدف المعلن، في البداية، للنضال هو جلاء الاستعمار الفرنسي من كمبوديا والحصول على الاستقلال والذي تحقق، فعلاً، عام ١٩٥٣ م. ثم وبعد الاستقلال تحولت وجهة الخمير الحمر باتجاه أمير كمبوديا « سيهانوك».



من ضروب السعادة التي جلبها بول بوت للمواطن الكمبودي

والتحق « بول بوت» بالثوار في الغابات، اعتباراً من عام ١٩٦٣م. وعندما أطاح «لون نول » المدعوم أميركيا بالأمير «سيهانوك» المحايد واستولى على السلطة في كمبوديا إذا بـ«بول بوت» يتحول نحو محاربة «لون نول » ليدل ذلك على أنه لم يكن يحارب الأمير سيهانوك، لأنه يشبه لويس السادس عشر - كما كان يردد بول بوت - وأن الثورة ضده سببها مفاسده، وإنما كان الهدف هو الوصول إلى السلطة، وهذه المرة تحت مبرر محاربة أصدقاء أو (عملاء) الإمبريالية العالمية. وظل الخمير الحمر يتصارعون مع أنصار « لون نول » إلى أن سقطت العاصمة الكمبودية « فنوم بنه » في أيديهم في

أبريل عـام ١٩٧٥م، بعد حرب أهليـة طاحنة استمرت خمس سنوات.

كان « بـول بوت » يعتقد بتحقيق قيـام الدولة الفاضلة التي كتبٍ عنها أفلاطون ، لذلك حاول أن يقيم في كمبوديا مجتمعـاً يقوم على المسـاواة الكاملة، في ظـل دولة قوية ومواطنـين من طـراز جديد، وكان المثـل الأعلى للإنسان الجديـد هو الفلاح الفقير، لأن المدينة عُدت في نظر « بول بـوت « مصدر إفساد . وهكذا بـدأ يفرض هجرة إجبارية مـن العاصمة التي هي المدينـة، إلى قرى العمل في الريف وأدى ذلـك إلى سقـوط حوالي عشرين ألـف نسمة قتلى لكونهـم لم يكونوا يرغبون بالعمـل في الفلاحة حيث إن غالبيتهم من المثقفين والمفكرين وأصحاب المهن . وألغيت الملكية الفردية ، وحُرم امتلاك المال ولبس الملابس الملونة ، واعتقد أنه سيحقق أهدافه ببتر الجزء المريض من المجتمع مـن أجل الجزء الصحيح، حسب تصنيفه ورؤيته المتناهية في « الطوباوية» [٢]!!

علـى الصعيد الفكري تم الشـروع بتربية جديدة تلغي الأنانية ؟! وذلـك عبر جلسات يومية للنقد والنقد الذاتي وتمجيـد روح التنظيم والانضبـاط . وأصبح كلٍ شيء، بما في ذلـك الأمـور الخاصـة والشخصية، مربوطـاً بما تقرره

(٢) تعني المكان او الشيء الذي لاوجود له وهي نظرية خيالية تعني الاشتراكية بالدرجة الاولى .

المنظمات الحزبية المحلية للخمير الحمر في الأحياء والقرى. ، فالأطفـال يتم فصلهم عن أهلهم مع منع استخدام تعبير « أب » و « أم ». وهـذه المنظمات الحزبية هي التي تقرر من يتزوج من!.

من ضمن ماكان يعتقد به « بول بوت » هو الوصول إلى إقامة مجتمع الاكتفاء الذاتي، وعن طريق الزراعة حصريا، فقضى على تنوع النظـام الاقتصادي في كمبوديا، فكان يرسـل الشباب والشيـوخ والموظفين مـن كل الوظائف، لكـي يعملوا في حقول الأرز. وفي هـذه الفترة تم القضاء علـى جميع المفكرين والمثقفـين وأصحاب المهن، وتدهور مستوى المعيشة إلى مستويات متدنية جدا. وكل سياساته جلبت المجاعات والمـوت الجماعي . وكل من كان يشكك بتلك السياسات يُعد مخربا وجزاؤه التصفية الجسدية.

قُضـي على حوالى مليـوني مواطن كمبـودي وجُرح وأصيـب بإعاقـة ملايين أخرى أكثر من ذلـك العدد ، وفر مئـات الآلاف إلى خارج كمبوديا ممن أتى « الخمير الحمر» إلى حكمهم تحت شعارات العـدل والمساواة والديمقراطية والحياة الكريمة لهم . لقد قضى نحو خُمس سكان كمبوديا - البالغ عددهم حينها حوالى عشرة ملايين نسمة - قتلا وبتأثير المجاعـات والمرض والأعمال الشاقة التي خلقتها سياسـات الخمير الحمـر في حوالي خمسـ سنوات فقط

هـي فترة حكمهم لكمبوديا . فيا لها من دولة فاضلة ومن مجتمع سعُد في ظل حكمهمٍ عما كانوا عليه قبل ذلك ؟ ! . ولـولا دعم واشنطن، لاحقاً، لقوات الخمير الحمر بالسلاح لمقارعة القوات الفيتنامية الغازية لكمبوديا وعدو الاثنين، لما تمكـن « بول بوت » وأنصاره مـن الاستمرار طويلاً في الحرب وفي ارتكاب الجرائم البشعة بحق مواطنيهم.

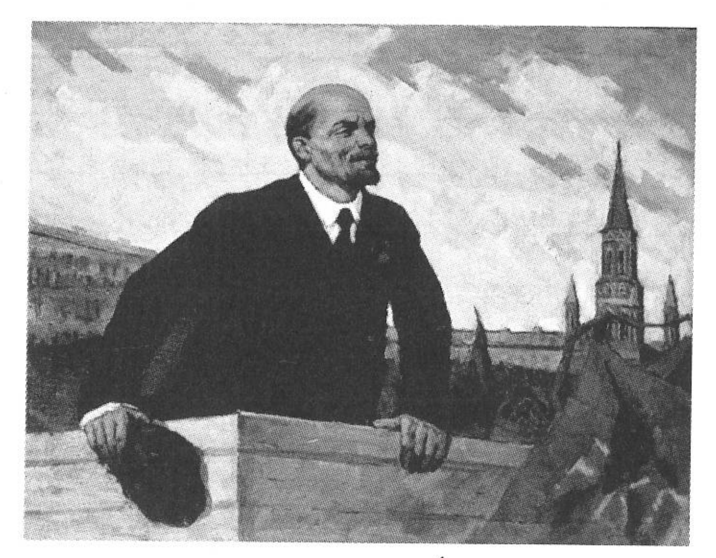
« بـول بوت » أقام المركز رقم ١ ٢ للتعذيب والذي كان عبـارة عن مدرسة، فحولها إلى سجن، وكان يديره بنفسه وهـو مسئول مباشرة عـن الذين تم تصفيتهـم وتعذيبهم في هذا المركـز باسم كمبوديا ديمقراطيه، إذ وصل عدد من تمـت تصفيتهم في هـذا المركز حسب بعضـ التقديرات إلى حـوالي مائـة ألف مواطن، بالإضافـة إلى ألفي طفل . وقد أصبح هـذا المركز الآن متحفاً يـروي غضب وسواد تلـك السنين التي حكـم فيها الخمير الحمـر . ففيه أدوات التعذيـب التي استخدمت من سكاكـين وفؤوس وأسياخ وأدوات كـي بالنار . وفيها مصفوفـات من آلاف الجماجم التي تم تصفيـة أصحابها في هذا المركـز وأكثرها بشاعة الرسومات المطبوعة على جدران ذلك المركز والتي تصور عمليـات التصفية الجسدية والتعذيب التي مورست. ومن ضمنهـا صورة طفل قُذف في الهواء وأطلقت عليه النيران من عدد من « الرفاق » حراس السجن، قبل أن يهوي إلى الأرض.

كانت سياسات وأهداف القيادة والحزب غير الناضجة تنفذ عبر الممارسات الهمجية والإرهاب والفرض والإكراه والجهل بإدارة المجتمعات والتفاعل الإيجابي معها. الادعاء شيء وسهل والتطبيق ووسائله شيء آخر وصعب.

أطيح بحكم « بول بوت » من قبل الجيش الكمبودي عام ١٩٧٨ م. وعاد ليعيش في الغابات. حكم عليه بالإعدام بعـد اعتقاله عـام ١٩٩٤ م، ولكنه توفي بعـد ذلك بأربع سنوات وفـاة طبيعية بانتظار أن يقـدم إلى محكمة العدل الدولية لقاء جرائمه المروعة التي ارتكبها.

ومـن المفارقات العجيبـة أن أحد أتبـاع ورفاق « بول بـوت » الدمويين ويدعى « تاموك » - ذا التاريخ المريع في الإبادة والتطهير والوحشيـة ، وقيل أن وحشيته تجاوزت معايير رفاقه من الخمير الحمـر السوداء في القتل والإبادة - قـد عاش متخفيـاً في قرية في الغابات بعد تشتت قوى الخمير الحمر بفعل ضربات القوات الفيتنامية والانقسامات الداخليـة. وقيل عنه بأنـه قد تخلى، في سنـوات ما قبل اعتقاله، عن وحشيته وتحول إلى إنسان ودود « إنسان ودود .. يـا سبحان الله ومن كان يعلم كيف سيكون لو أنه تمكن من العودة إلى السلطة مرة أخرى ! ! »، بل وتحول أيضاً

عن أفكاره الماوية المتطرفة وصار أقرب إلى الرأسماليين !! .. واشتغل في أعمال التهريب عبر الحدود التايلندية مع رفــاق آخرين. « تخيلوا .. من مدعــين بالثورية والمجتمع المثالي والنظام الفاضــل وبالعدالة للشعب إلى مهربين .. ألا يدل ذلك على معدنهم الحقيقي !؟».



« لينين » ..
ونظرية الاشتراكية العلمية

من المسمى، لا وجود لأي لبس ، « نظرية » الإشتراكية العلميـة صممها مصمموهـا بالأساس لتطبيقهـا على المجتمعات الصناعية الرأسمالية ذات الطبقات الواسعة من عمال المصانع ، ولكنها، بدلاً من ذلك، طُبقت في المجتمعات الفقيرة والزراعية !! ودفَّع « ستالين » بلده ومجتمعه غالياً من أجـل تحويله من مجتمع زراعـي إلى صناعي، كي يجرب عليه النظرية .. كانت نظرية . .ويُراد لها الإثبات ، فإما أن تكون صحيحة وإما يثبت خطأها . وتعني أن تحل بالكامل محل الإرث الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي

والعقائدي الذي ورثته الأمم، عبر مراحل طويلة من القرون والحقب واستنتجت وتعارفت ومارست حياتها على أساسه . وهذه، ببساطه، نظرية ألفها شخصان وطورها وطبقها ثالث . اعتقدوا واعتقد من اتبعهم بأنها ستكون الحل لمشاكل العالم وأنها تعني الحرية والسعادة لشعوب الأرض ، وأنها أجدى وأجود من إرث عقول المجتمعات البشرية على اجتماعها وتراكمها . وفوق هذا وذاك سعى من اعتقد في جدواها إلى وضع مجتمعاتهم موضع التجربة وتحت شروط مشددة، من التضييق في المعيشة ومن المنع والحصار من السفر والاختلاط مع المجتمعات الأخرى ومن التصفيات والسجن على الشك والاستنتاج والتوقع. وأصبح الرهان والإصرار، وبأي ثمن، من أجل إثبات صحة هذه النظرية ولو كان على حساب حرية وسعادة الأمم، فضاع الهدف في متاهة التطبيق للنظرية.

استمر تطبيق النظرية وتجربتها حوالي سبعين عاماً وتحت ستار حديدي من القوانين القمعية والكاتمة وإرهاب الدولة، ثم سقطت سقوطاً مريعاً، متتالياً ومتقارباً مما يدل على أن الشعوب التي مرت بالتجربة قد عانت كثيراً فاندفعت ،وبلهفة، نحو تحطيم الأسوار الحديدية التي فُرضت عليها والتي لم تذق الحرية والسعادة المزعومة في إطارها على الإطلاق ، وثبت فشلها لتعارضها مع طبيعة الإنسان، مع أن البعض لايزال على غيه ويدعي بأن النظرية صحيحة

وأن الخطأ كان في تطبيقها !!.

لقد كانت تلك النظرية دقيقة في تفاصيلها، بحيث غطت جميع جوانب الحياة وأوجدت لكل استفهام إجابة ومثلت ثراءً في الفلسفة الطوباوية والمنطق الديماغوجي، أبهرت الشباب وأوقعتهم في حبالها. ولينين، في نظري، لا يختلف كثيراً عن « راسبوتين » المشعوذ الروسي الذي سبقه والذي مارس الفجور باسم الدين وتحت غطاء الرهبنة، لأن كلا الاثنين أفّاق والأفاقون يمتلكون قدرات خاصة في الكلام والإقناع حتى خلاف الحقائق المتعارف عليها، لكن هرطقة (٣) مثل هؤلاء تنكشف، ولو بعد حين، بينما يظل الفكر والعقيدة الحقيقية والسليمة لا يبليها الزمن وذلك أشبه بالنظر إلى الجمال المعقد أو الحقيقي والجمال البسيط أو الزائل فالأول تتكشف مزاياه بتكرار النظر إليه والثاني تتكشف مثالبه ولو أبهر الناظر إليه في الوهلة الأولى.

عُرف عن « لينين » بأنه كان كاتباً غزير الإنتاج، بلغت مؤلفاته أربعين مجلداً، وخطيباً نارياً، ومناظراً لبقا، وبقيت كتاباته دستوراً للشيوعيين يستشهدون بمقاطع منها في كل مناسبة، وللتدليل على كل قضية. وهي، بسبب كثرتها وكتابتها في أوقات وظروف مختلفة، تجعل من الممكن أن يُستخرج منها ما ينطبق على أي دعوى، كما أنه كان يتمتع بشخصية ذات سحر جماهيري قوي وقدرة كبيرة

على التنظيم والتكتيك والدسائس وقد اقتبس من كتابات « ماركس » و« أنجلز» مايوافق أغراضه .

العديد من تلامذة لينين في الوطن العربي تمتعوا بشخصيات منسوخة عنه، واستطاعوا، كما فعل، أن يلهبوا مشاعر الشباب وأن يجذبوهم إلى صفوفهم.

لعله بعد المقدمة - عن الخير والشر واختلاف الرأي وصراع الإنسان وطغيانه وإيراد نماذج بارزة من طغاة العصر الحديث الذين أكثروا من الجبروت والتقتيل لشعوبهم وباسم الخير لها وبعد الإيجاز عن مؤسس نظرية الاشتراكية العلمية على الواقع الذي جنى على عشرات ملايين البشر في العديد من بلدان العالم بتلك النظرية وبدعوى خلق السعادة لهم - قد حان أن نقيس على ذلك مما حدث في المحافظات الجنوبية من اليمن، منذ الاستقلال عام ١٩٦٧م وحتى إعادة تحقيق الوحدة اليمنية في ال٢٢ من مايو ١٩٩٠م. وما أكثر التشابه أو التطابق، وما العجب إلا لمن لم يتعض مما حدث بالأمس القريب ونجده ينفعل وتأخذه النشوة بالشعارات والأحلام الوردية التي يرددها هذه الأيام نتاج الصراعات المتسلسلة والذين اكتملت عقليات معظمهم وانغلقت على ذلك النمط من التفكير التصادمي الذي لايحمل أي تباشير لمعاني الإصلاح أو الخير، والذين لا يجيدون أي عمل في الحياة إلا التآمرات والصراع من أجل السلطة، والذين يستغفلون

البسطـاء من المواطنـين، يدغدغون عواطفهـم، كما سبق لهم ذلك مـع طبقات العمال والفلاحـين والطبقة الرثة، و يعتقدون، بعقل المتغطرس المغـرور بأنهم المنقذ والمخلّص وكأن مـن يتبعهـم قد وصم نفسه بما قالـه المثل الشعبي : (رزق الهبل على المجانين) .

لقد سبق وأن رأينا لهمٍ أحلاماً سوداء وليست وردية قط، وكوابيسـ مرعبة وأفعالا مغايـرة للشعارات التي انطلقوا بها في البداية من المساجد وتحت مسحة دينية ومسميات قومية وغير ذلك من المثاليات الجميلة التي كانت تردد قبل أن يصلوا إلى السلطة.

لقـد كانـت هناك حـركات وطنيـة متفرقـة فٍي أنحاء مـاكان يُسمى بالمحميات . وهذه الحركات، إجمالا حاربت الوجـود البريطـاني ؛ إمـا بالسـلاح المتـاحٍ لديهـا وإما بالقلـم والدبلوماسية، وكان دافعهـا وطنياً نابعاً من الغيرة والإحساسـ الوطنـي الفطري - إن جـاز لنا القول - ولم تكن لديهـا أي فلسفات أو نظريـات سياسية وإنما كانت نابعـة من بساطة الإنسان ابـن الأرض الذي لم تكن لديه أية دوافـع لمقاومة الاستعمار سوى دوافع الفطرة السليمة التي ترفضـ الاستعمار دون وجود بنـود أخرى قبلها أو بعدها.

إلا أن الأحـزاب التـي ظهـرت بعد ذلـك كانت جيدة التنظيم؛ لهـا أدبياتها ونظرياتها ولها بنود واستراتيجيات

لما بعد رحيل المستعمر.

أي نظام اجتماعي لأي أمة هو عبارة عن تراكمات لخبرة الأجيال على مدى عمر هذه الأمة ؛ تستخرج الصالح عن طريق التجربة والخطأ. ومثل هذا الإرث تصل إليه الأمم بالنفس الطويل، عبر الأجيال والأزمان ولا يُفرض عبر المنعطفات الحادة ودون وضع أي أمة في تجربة شاملة ومركزة.

لكننا كنا، حينها، في زمن مابعد الحرب العالمية الثانية والثورة البلشفية في روسيا وكنا في زمن الحرب الباردة ، روسيا، الاشتراكية ومعسكرها وأمريكا الامبريالية ومعسكرها . وحربهما كانت عن طريق بسط النفوذ في مختلف بقاع المعمورة، عبر وسائل عدة وعن طريق ماسُمي « الحروب بالوكالة » من خلال وكلائهما من الأنظمة الحاكمة والأحزاب السياسية الموالية.

تبنت الكتلة الشرقية نظرية « وهنا مكمن الخطأ »، مغايرة لتلك السارية في نظام الكتلة الغربية. وكلٌ من الكتلتين علّب وصدر نظامه أو نظريته ولم يكن باستطاعة كلا النظامين الفتيين الحلول مكان البريطانيين والفرنسيين، وبنفس الصورة والصيغة التقليدية، لأن العصر قد تغير ولا يصلح معه قالب الاستعمار القديم ، لذلك اتخذ كل نظام من النظامين نهجاً يُحقق من خلاله مضامين الاستعمار الجديد، تحت مختلف الصور والشعارات الجذابة. واتخذ

الشيوعيـون - أو الاشتراكيون « تخفيفاً » في الدول التي
تديـن شعوبها بالديـن الإسلامي - من معـاداة ومحاربة
الأنظمة الوراثية وإسقاطها، هدفـاً للوصول إلى السلطة،
تحت شعارات ومسميات جديـدة جذابة للشباب خاصة.
واتخـذ أنصـار الإمبريالية اتجاهاً معاكسـاً وذلك بمحاربة
أنظمة الدول الموالية للأنظمة الشيوعية . كلا الطرفين كانا
يؤديـان ثورات وحروبـاً بالوكالة عـن القطبّين المتزعمين
للعـالم، وفي إطار ذلك قد تحقق مصالحهم، ومنها الوصول
إلى السلطة . وما المانع من ذلك؟! لأن ذلك كان يتم بمعطيات
ومعيار ذلك الزمن، كما يبررون، وكان الجميع يدور حولها
وتبرر بـأن ليس لأحد خيار سواها وإن لم ترتم في حضن
أي مـن النظامين، فقد لاتحقق طموحك، وربما لن يكون لك
وجود وسيأتي غيرك ليفعل مالم تقبل به.

روسيا وجّهـت الدعوات إلى مـن توسمت فيهم خيراً
لهـا من جميـع دول العـالم العربي، تقريبـاً، ومن ضمنها
اليمن بشطريه. وأفرطـت في أسباب ضيافتهم وراحتهم
الشخصيـة ثم أفرغت مـافي رؤوسهم - وهم في حال لم
يألفـوه أو يحلموا به من الانبسـاط - من مخلفات ثقافة
العـالم القديم . فعلت ذلك وأحسنـت غسلها، ثم أبهرتهم
بالنظريات الجديدة، وهم الذين ليس لديهم حصانة ثقافية
عقائديـة ، وربما كانوا من الشبـاب الباحثين عن محطات
ليستقـروا عليها أو من الشبـاب العائش في غربة المعتقد

وممن استساغ التحرر من قيود العالم القديم ومحرماته واستساغ مباهج وملذات معيشة النظام الاشتراكي الفتي والجديدة عليه فأحبها فتبناها .

وأمريكا، مع أوروبا الغربية أيضاً دفعت بالمقابل في من توسمت فيهم استيعاب وقبول ثقافتها وتطور علومها وبلدانها، من خلال دراستهم فيها ورأت فيهم الاقتناع بتبني ثقافة وسياسة الغرب.

وكلا الطرفين أشعر وكلاءه بالندية وأن الأمر لا يبعد عن كونه تبادل خبرات وثقافة وصداقة متكافئة يُعتمد عليها ومساعدة لبلدانهم للنهوض بأوضاعها . ولم يفكر هؤلاء أو لم يرغبوا في أن يفكروا بأنه من المستحيل وجود تكافؤ بين غير متكافئين من جميع الوجوه . فأسس هؤلاء الأحزاب الشيوعية والاشتراكية في بلدانهم وأسس الطرف المعاكس الحركات القومية ، ولا يهم المسميات والأعلام المرفوعة فكلهم كانوا أصابع الكتلتين، سواء كان ذلك بجهالة أو بعلم المثقف، فاقد الفطرة السليمة.

وقد أصاب اليمن نصيبها من هذه الأحزاب خاصة ماكان يُعرف با « الشطر الجنوبي» منه حيث كانت الساحة مؤهلة لولادة جديدة.

في عام ١٩٦٧ م عمت الفرحة كل أرجاء اليمن بنيل الاستقلال وزوال مسمى المحميات، رغم غمامة الحرب

الأهلية القصيرة إلا أن الجميع كانوا يأملون خيراً ويحلمون بخيرات . وبدأ النظام الجديد يطبق مافي الكتب المستوردة ،لأن معظم قادته كانوا فتية صغاراً ولا يمتلكون تجربة في الحكم وإدارة المجتمعات . وتخلصوا سريعاً ممن اعتقدوا بأنهم سيشكلون عقبات، بثقافتهم المتخلفة والرجعية، أمام تطبيق مايسعون إلى تطبيقه ضمن طموحاتهم . لقد انقطعوا عن حركة القوميين العرب في منتصف الستينات، لكن دون أن يُشهروا ذلك، وأقنعتهم الأحزاب الشيوعية العربية؛ أن روسيا ستكون خير حليف لهم، خاصة مع غياب مصر بسبب خلافاتهم معها ووقوعها تحت تأثير هزيمة ٥ حزيران . وهكذا كان لابد، من أجل ذلك، من تبني حماس الشباب الأصغر سناً والأقل خبرة واستبعاد من يُظن بأنه لن يتقبل النظام الجديد في عدن . وتحت مسميات ومصطلحات جديدة مثل التحالف المرحلي، تمت تصفية العناصر غير المرغوب فيها، تحت مبرر أن التحالف معهم كان لمرحلة تتطلبها عملية الثورة المسلحة التي تحتاج إلى حطب لإشعال جذوتها، وبانتهائها كان لابد من تصفيتهم، لأنهم لن يكونوا قادرين على مواكبة (المراحل اللاحقة)[٣]. وتوالت عملية التصفيات لحلفاء الأمس، تحت مسميات مختلفة ، فتمت تصفية الرئيس قحطان الشعبي

---

(٣) مايرد بين هلالين هي الكلمات والتعابير التي كانت متداولة او تكتب في ادبيات الحزب حينها .

ومجموعته الأكثر تجربة وخبرة في الحزب، ثم قادة الجيش والأمن الذين ثبتوا الجبهة القومية في صراعها مع جبهة التحرير، والعديد من القيادات الميدانية، وبعضهم ترك اليمن من ذات نفسه لشعوره بالخطر عندما تكشفت نوعية الممارسات، وربما للإحساس بأن الأمور تجري بمجرى غير ماكان متوقعاً وما سبق الحديث عنه.



الرئيس قحطان الشعبي

تجاوبت الجماهير مع النظام الجديد، بصور مختلفة. فمن الجماهير من كان على استعداد لقبول أي نظام وطني بعد جلاء المستعمر. ومنهم من ارتبطت مصالحه بهذا النظام. ومنهم من تعايش معه حتى لاتتعطل مصالحه وطموحاته. ومنهم من رفض هذا النظام، لأسباب مختلفة ولكنه لايجاهر بذلك، لأن المصير على مثل هؤلاء يكون إما بالتصفية أو بالسجن والتعذيب الذي وصل بالبعض

أن أطلق سراحهم وهم إما مجانين أو شبه منطوين على أنفسهم، لما تعرضوا له من التعذيب، وبالذات امتهان كرامة ورجولة الرجل.

كان الطرح عن التقدم والرفاهية والمساواة والأمن ونبذ الفتن التي سيحققها النظام الجديد، كلها أمور تبعث على الأمل القوي بالمستقبل. وتقبل بعض الناس، من أجل ذلك، تحميل مساوئ وعيوب الماضي على النظام الاجتماعي والاقتصادي السابق من السلطنات والإمارات والمشيخات والإقطاعيين والرأسماليين والكمبرادور. وكلهم مجتمعون حُمّلوا ذنب الجهل والفقر والفتن والتأخر والظلم والفساد. ولقد وصل بالبعض من أعضاء وقيادات الحزب إلى أن يصور في أحاديثه مع الناس أن الرفاه الذي سيصلون إليه سيبلغ حد أن يقطفوا الفواكه من شبابيك منازلهم، دون ثمن مقابل ذلك أو عناء الذهاب للشراء « انظروا مستوى دغدغة عواطف الناس البسطاء الذي مارسوه » !!

وكانت الشعارات والمصطلحات التي تردد وفي غالب الأحيان، دون فهم لها، من موجبات الثقافة والمجاراة للتقدم الثقافي الحاصل، كما كان يردد ، ويحفظها الكثيرون عن ظهر قلب. فهي من مفاتيح القبول لدى النظام الجديد ومن موجبات اجتياز الاختيار للوظيفة والترقي في العمل والحصول على المنح، بكافة أشكالها.

بدأت الإجراءات الثورية تطبق تحت شعارات كثيرة

ومتنوعـــة، وفي ظل غطاء من إشعـــال المشاعر بالشعارات والهتافـــات الملحنـــة التـــي كان يصممها بعضـــ الشعراء من قيـــادات الحزب والتي كانت تستنفـــر وتلهب المشاعر بالانفعال والكراهية للاصلاح والدعوة الى الثورة الدموية الملحـــدة (الحمراء) المستمرة على حســـاب إعمال العقل، خاصـــة عندما كانت تُردد في قاعات الاجتماعات الكبيرة التي يضيف اليها الصدى تأثيراً مضاعفا، مثل :

عاش تنظيمنا قائد سياسي

قائداً للجماهير الغفيره

قائداً للمراحل ذي قطعنا

وامراحل قطعناها طويله

ومثل :

سالمين نحن أشبالك ــــ وافكارك لنا مصباح

واعلناها ثوره حمراء ــــ بعنف العامل والفلاح

ومثل :

يمـــن ديمقـــــراطي موحــــــد ــــ نفديه بالدم والأرواح

سوف نقاتل سوف نناضل ــــ ثوره ثوره لا إصلاح

وتطورت الوتيرة، بتصاعد وتتابع متلاحق، دون إعطاء أي فرصـــة لأخذ النفس في استراحـــة مراجعة أو تراجع، وفي ظـــل ثقافـــة موجهة ومحصورة في إطـــار الاشتراكية العلميـــة والأدبيـــات التي تدور حولهـــا . ومُنعت الثقافات

الأخـرى أو تم التضييـق عليها، بحيـث لا يسمح إلا لغير المؤثر منها أو بعد تعديل وتحريف مفهومها بمفهوم تقدمي، كما كان يقال، وكما حدث مع الثقافة الدينية التي كان يتم التدرج في محوها حتى لا يثير إلغاؤها أو إنكارها ردة فعل قوية في المجتمع الإسلامي المحلي ولدى دول الجوار.

بـدأت الإجراءات الثورية بمحاكاة ماحصل في الأنظمة الشيوعيـة وخاصـة الاتحـاد السوفييتي (العظيـم) تماماً باعتبـاره القـدوة (للتطبيق الأمثل) لنظريـة الاشتراكية العلمية . تم التخلص من جميع من قادهم وآزرهم ونصرهم ووقف معهم وثبّتهم على دفعات وتحت مبررات وشعارات مرحلية مختلفة ، على اعتقاد - أو تحت مبرر - أن المراحل القادمـة يجب أن يقودها شباب ذوو فكر وثقافة من طراز جديد، وأن القيادات الموجودة والمؤثرة ستكون حجر عثرة أمـام التطبيقات (الخلاقة) المقدم عليها التنظيم السياسي ولن يكون بمقدورها مجاراة المتغيرات العقدية والاجتماعية والأيدلوجية اللاحقة.

خـلال المراحل المختلفة لحكم النظـام في عدن أدخلت مصطلحـات وتعابـير جديـدة على (الساحـة)، لم يكن أحـد يعرفها في الغالـب إلا المنتمون للحـزب الشيوعي وبعضـ المثقفـين المطّلعين على الأحـداث التي جرت في الاتحاد السوفييتي ، مثل : الصراع الطبقي ، البروليتاريا ، دكتاتورية العمال ، ثم لاحقا دكتاتورية العمال والفلاحين ،

الثورة والثورة المضادة ، المرتزقة ، الكمبرادور ، البرجوازية والبرجوازيـــة الصغيرة ،الإقطاع ، العــدو المرحلي والعدو الاستراتيجي ، التحالف المرحلي والتحالف الاستراتيجي، العــدو التاريخي ،المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، الميتافيزيقية ، الرجعية .

المصادرات وصراع الطبقات

كما يبدو أن منظري الأحزاب الشيوعية والحركة الاشتراكية استوعبوا ووظفوا جيداً مبدأ ربط المصلحة بالولاء وكرّسوا نشاطهم، على أن تكون جميع سياساتهم منطلقه من هذا المفهوم أو ماأسميها أنا (بنظرية السلب والمقايضة) .وتعتمد هذه النظرية على سلب أملاك طبقات من المجتمع ومقايضتها بخلق مصلحة بها للطبقات الأخرى . وكانت لديهم القناعة بأن طبقات المجتمع المستقلة اقتصاديا لن تواليهم وتقبل بمبادئهم وليست بحاجة لهم ولنظرياتهم المستجدة . وعلى العكس من ذلك فإن الطبقات الفقيرة هي التي يمكن خلق مصالح لها بالأخذ من الأولى ومنحه للثانية، وبالتالي كسب ولائها وتلاحمها وقناعتها بأطروحات النظام الجديد، وسيكونون وسيلتهم وأداتهم للوصول إلى السلطة والبقاء في الحكم.

وبما أن أعداد جماهير الطبقات ذات الدخل المحدود في أي مجتمع هي أكثر بعدة مرات من تلك التي تمتلك

وسائــل الإنتاج والمهن والتجارة والزراعة ، فإنه بالإمكان خلق مصلحة لهؤلاء الفقراء على اعتبار أن الإنسان يؤمن بما له مصلحة فيه وذلك بتوزيع مايمتلكه الأغنياء ومتوسطو الدخل من الأموال والأراضي والعقارات ووسائل الإنتاج عليهم، تحت مسمــى الصراع الطبقي، وبحجة أن ماكسبه الأغنيــاء هو من عرق وجهد الفقراء، وبالتالي فهم أحق به من الأغنياء . وبهذا المنطق يتم خلق فجوة وعداوة مجتمعية تغذيها وتدعمها الدولة ! ! وتكون الدولة هي مربط الفرس في خلــق هذه المصلحة وباعتبار أن ما كسبه المالكون وهم الطبقــات المستغلــة (بكسر الغين) كان مــن عرق وتعب الفقــراء وهم أحق به كطبقات مُستغلة (بفتح الغين). وهذه في الحقيقــة- سياسة مفلسة، تنم عن الفشل وعدم القدرة علــى خلق أي شيء يؤدي إلى رفــع المستوى الاقتصادي للمجتمــع ككل من خلال الخطط والسياسات المثمرة التي تزيــد من حجم «الكيكة »، بدلاً من الاعتماد على الموجود الذي خلقــه غيرهم وليس لهم أي فضل في صنعه . وهي سياســة غاشمــة وانتهازية وغير وطنيــة ولا أخلاقية في أن ترضــي بعض طبقات المجتمــع في وطنك على حساب طبقــات أخرى. ووسيلة رخيصة وقذرة لدغدغة العواطف والاحتياجات لدى طبقات من المجتمع وإغراء العداوة ضد طبقات أخرى ، وكل ذلك مــن أجل الوصول إلى السلطة (أليسوا هم القائلون بأن الغاية تبرر الوسيلة)؟! .

الصراعات والتصفيات بين أجنحة الحزب

يبدو أن فراغ السلطة من رموزها التقليديين، بعد الاستقلال، قد فتح الباب على مصراعيه للطامحين ليتبوأ كلٌ منهم مركزاً مرموقاً في الدولة الحديثة الناشئة، ولا يوجد « حدا أحسن من حدا » - بالتعبير الشعبي - خاصة وأن الوصول الى السلطة لا يتطلب شهادات ولا كفاءات . وألغي القطاع الخاص، بالكامل، وترك الناس المهن والحرف والعمل العضلي واتجه الجميع للتوظف لدى الدولة التي وعدت الكل بالرفاه القادم . وحدث التعارض بين الأعداد الكبيرة للطامحين للوصول السهل إلى السلطة والوظيفة المرموقة وبين الكراسي المتاحة والمحدودة، فنشأت الاحتقانات بين الحين والآخر ،وكل يتربص بالآخر ليحل محله، في مركزه، وفي البيت الذي سكنه، وسيارته، ومكتبه، وسكرتيرته، والميزات الأخرى التي يتمتع بها... الخ. ولقد لعب الصراع

على الخليــلات دوراً غير بسيــط في إذكاء المنافسة والحقد والعداوة والالتحــاق بهذا الجناح أو ذاك وتصفية الحسابات عندمــا تحين الساعة في صراعاتهم المتكــررة . وذُبح الوطن عدة مرات من أجل الكراسي والخليلات .

لقــد مر نظام الحــزب الاشتراكي في عــدن بالعديد من الصراعــات والتقلبات، خــلال فترة حكمــه، التي دامت حــوالي ربع قرن . وإن دلت حالة عدم الاستقرار المستمرة التي عاشها الحزب وعايشها الشعب على شيء ، فإنما تدل على فساد المسلك والمنهج والنوايا التي كانت بين أوساط الحزب ، وعلى عــدم ملاءمة التجربة التــي تبنوها للفطرة السليمة . فالدولــة والحزب، ومنذ نيل الاستقلال، ظلا في مراحل انتقالية ، فبعد كل صراع وبعد كل مؤتمر وبعد كل تشكيــل لحكومة تُعلن مرحلة انتقالية . وإذا أعلنت مرحلة جديدة عُلــق الفشل والأخطاء على إجــراءت وتطبيقات المرحلــة الانتقالية السابقة . ورافــق الانتقال في المراحل انتقــال مجاميــع إلى السلطة والوظائــف المرموقة وخروج أخــرى منهــا ، وصراعــات دموية وعشــرات الآلاف من الضحايــا من أبناء الشعب الذيــن كانوا يُقحمون في تلك الصراعات البينية ومعظمهم كان يجهل السبب الحقيقي.

وبعــد الصراعــات الحــادة أو الدموية تُشــكل حكومة انتقاليــة جديــدة (لتضمد الجــراح وتزيل آثــار المؤامرة وتصحــح أخطاء المرحلة السابقة) ،ويعدون بأنه وبعد إتمام

المرحلة الانتقالية ستنتقل البلاد إلى دولة النظام والقانون والمؤسسـات . وكمـا علق أحدهـم : (إن كل مـاكان يتم أن ينتقـل خلال تلـك المراحل المشتغلـون بمهمة الانتقال السياسي والاقتصادي والاجتماعـي إلى القبور والمنافي والسجون ، وخـلال كل نقلة إلى المرحلة الانتقالية تنتقل طوابـير إلى خـارج الحكم وخـارج الوظائـف)وسلامة « الراس » تكفيهم عن الرواتب .

وعقب كل حدث سياسي دموي أو حركة تصحيحية، كان يصـدر مايوصف، عادة، بالبيان السياسي التاريخي العظيم الموجه إلى (جماهير شعبنا العظيم وجيشنا الباسل)، معلنا (نقطـة انعطاف تاريخي يُعيـد للثورة وجهها المشرق الذي لطخه بالسواد والجرائم الزعيم السابق أو العصابة التآمرية السابقة من أعضاء الحزب الاشتراكي المرتبطين بالإمبريالية والرجعيـة والمنحرفين عـن خط الثـورة) !!؟ ويحث البيان المواطنين علـى التحلي بالصبر والانتظـار (لأن ليس لدى القوى الثورية الحقيقية عصا سحرية لمعالجة السلبيات لأن التركة الموروثة ثقيلة وتتطلـب التضحيات!! ويكرر البيان (أنـه بعد الانتهاء من المرحلـة الانتقالية ، سوف يتم إيجاد دعائم الحرية والاقتصاد الوطني المنتج المستقل عن السوق الرأسماليـة العالمية في عصر انهيـار الإمبريالية وانتصار الاشتراكية)!!؟ لقد كانت توقعاتهم معكوسة .

وقد كثرت المسميات التي كان يطلقها عادة المنتصرون

منهـم على جناحهم أو على بعضهـم البعض مثل : التيار التقدمي للتنظيم ، الانتهازيـة اليسارية ، الجناح الشرعي للتنظيـم السياسـي ، التيـار الرجعي ، الاتجـاه اليساري المتطـرف ، الاتجاه الثوري الديمقراطـي ، الاتجاه البرغماتي القومي ، الاتجـاه المتصنع لليسار ، التيار الصيني الماوي ، التيـار السوفييتي الأممي ، تيار الوحدة ضد القوى المعادية للثورة ، الاتجاه الثوري الديمقراطي ، اتجاه التوجه الاشتراكي ، اتجاه الحـزب الديمقراطي الثوري ، الحزب الاشتراكي من طراز جديد ، التيـار القومي العربي ، التيار الثوري الأممي ، التيار الوحدوي اليمني المعتدل ، التيار الوحدوي اليمني الثوري ، التيار الجنوبي ، التيار الشمالي ، الاتجاه الليبرالي الاشتراكي ، الاتجاه الليبرالي القومي العربي ، تيار اليسار الليـبرالي المنفتح ، تيـار اليسار المتشدد ، جنـاح القيادة الفرديـة ، جناح القيادة الجماعية ، تيار التوجه الاشتراكي ، تيـار الإصلاح ، التيار الوحدوي اليمني المتطرف ، التيار الوحـدوي اليمني الواقعي ، الطغمـة ، الزمرة ، الانتهازية اليمينيـة ، الانتهازية اليسارية ، التيار المغامر الانفصالي ، التيار غير المبدئي ، التيار التروتسكي ، التيار المنحرف .

ألا تـرون معي أنها كانت غابة مـن التجزئة والتشرذم والمسميـات والترف السياسي الزائـد.. تاهوا فيها وتوهوا الشعب معهم ، وأنها تثبت أن القاعدة لديهم وفي تكوينهم هو التجزئة والانفصال ، والاستثناء هو الاتحاد والتكامل ،

وأن القاعـدة لديهم هي الخطأ الذي، دائماً يدّعون السعي نحو تصحيحه ، والاستثناء هو فعل الصواب ؟! حتى عندما يفعلون الصواب تجرهم شقوتهم نحو القاعدة في أفعالهم فيخطئونه . إنهم يتمتعون بالديناميكية والقدرة الإعلامية ولكـن أي ديناميكية تلك ؟! إنها للأسف ديناميكية هدامة وعمياء وإعلام كاذب ومضلل .

اقـرأوا للشاعـر أحمد سعيد السعيـدي (بلعيدي) وهو يوصمهـم بعدم النضج وأنهم أشبه بـ (العويله) يلعبون لعبتهم ، ونأى بنفسه عن أن يكون منهم وطالبهم بالتوقف مـن تكرار إلحاق من وصل للسلطـة أو من تبقى فيها بمن قـد سبقهم حتى لا يستمر الحكـم بينهم، كما هو الحال هو السلاح !! ، قال ذلك بعد أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م :

الناس تتخابر وماعندي خبر
ويش كان أو ماكان جوف المنطقه
إحنا شعونا ما دخلنا بينهم
لعبة عويله من لقي ذا يدلقـــــه
ياهل السما لاحد سقط من عندكم
القاع واثق من سقط بايوثقـــــه
قل للمحاسب لايسوّي لي غلط
يوبه على الثاني بالاول يلحقـــــه
ولا رعوا بعدين بايعمد حنق
كلا يُحكم من لثامة بندقـــــه



الإجراءات الثورية
والتصفيات الجسدية

إن مــن يدقق في الشعارات التي كانت تُرفع، إبان حكم نظام الحزب الاشتراكــي بمرحلتيه القيادة العامة ، والحزب الاشتراكي الطليعي ، لايمكن أن يخلص إلى الاستنتاج الذي يمكن أن يوحي باستجلاب الســلام والاستقرار والسعادة للشعب . فكلها شعارات تفجّر الأحقاد والكراهية والعنف والصراعــات ، فكيف بمن يقدم نفسه على أنه سيكون ولي أمــر أمةٍ وهو يؤسس لمثل هذه الثقافة والنهج إلا أن يكون جاهلاً بما تعنيه سياســة إدارة المجتمعات وجلب ماتنشده مــن الاستقرار والسعادة لها ،وجاهــلاً أيضاً بأن عليه-إن استطاع - إيجاد وتعظيم الخيرات ؟! فماذا ينشد أي مجتمع أو أي أمــة مــن التغيير ؟ هل هو التغيــير من أجل التغيير نفسه أم التغيير من أجل أن يحل أشخاص محل آخرين أم التغيير من أجل الحصول على الأفضل في المعيشة والأمن والاستقرار والخدمات ؟

والجواب المنطقي على هـذا السؤال معروف ولا يحتاج إلى توضيح.

والبنـاء يتطلب مهارة وخبرة وعلم ومال وزمن، والهدم لا يتطلـب إلا القليل جداً مما يتطلبـه البناء. وهذه حقيقة يعرفها الجميع. والذي يبني هو المقتدر، أما من يهدم فليس بالضـرورة أن يحمل هذه الصفـة، فالأمر لا يتطلب ذلك. وهدم تركيبة المجتمع وثقافته - على افتراض حسن النية - لا تأتي إلا من جاهل أو ناقص عقل ودراية.

أطلق الحـزب شعار الصـراع الطبقي، نقـلاً عن الاتحاد السوفييتي أو تقليداً له أو امتثالا لأوامره والتي لم تكن على شـكل أوامر أو إمـلاءات، وإنما بأسلـوب الاستعمار الجديد الـذي يشعرك بأنهـا ليست أكـثر من تبـادل للتجارب بين الـدول المتحالفة والصديقة، وأن عليك تنفيذ التجربة بكامل شروطها حتى تنجح وأن نقل التجربة تجنبك الأخطاء التي مر بها صاحـب التجربة!! وهو كلام صحيح لاغبار عليه، ولكن هـل الهدف صحيـح أم هو وهم طوباوي لاوجـود له إلا في مخيلـة المؤمنين بهذه النظرية؟ وهـل النظريات، دائما، تكون صحيحة، خاصة إن كان تطبيقها على المجتمعات الإنسانية، وتطبيقهـا يعني قلـب كيان المجتمـع والذي، حتمـاً، يقابل بالرفـض والمقاومة مـن المتضررين ويـؤدي الأمر إلى دماء وسجون وعذاب ودمار وتعاسة؟ فهل كان كل ذلك من أجل أن يسعد المتمسكون بالنظرية والمستفيدون من تطبيقها؟

لقــد اعتقد المتمسكون بالنظريــة أن تركيبة المجتمعات الإنسانية غــير متوازنة ولا عادلة ويجب أن لاتكون هناك فــوارق طبقية في أي مجتمع . وبذلــك أنكروا أو غاب عن اذهانهــم أن البشــر خُلقوا متفاوتــين في المواهب والذكاء والاجتهاد وفي صفات عديــدة أخرى، وأن لله حكمه في هذا التفاوت - ولم يغب عن ذهننا أن الله غير موجود في أذهانهم - وتنوع القدرات لدى البشر خلق التمايز بينهم ، بينمــا عمل مروجــو النظرية على كبــت القدرات وعدم إطلاق حريتها وربطها بحركة مُقيدة ذات معيار واحد .

قضــى النظام على طبقات المجتمــع المقتدرة على خلق المصلحــة والتــي ستكــون متبادلة مــع الطبقــات الأقل اقتداراً،عن طريق التوظيف للفكرة والمال والعقار ووسائل الإنتاج التي تمتلكها مقابل جهد وعمل الطبقات الأخرى، ويتم بذلك تحقيق مصلحة للطرفين، فماذا حدث بعد ذلك؟ الطبقات المسحوقة والكادحــة والرثة، كما كانوا يطلقون عليها ظلت كما كانت عليه مسحوقة وكادحة ورثة، لأنها لم تمتلك ولم يمكّنها النظــام من امتلاك تلك المقومات، لأنه أصــلاً لايمتلكها إلا كحالات فردية، وكان يمكن أن يحدث هــذا تحت حكم أي نظام ، بالإضافــة إلى أن النظام، وعبر ثقافتــه الجديــدة التي حلــت وكانت تمجد تلــك الطبقات ووضعها، وكانت الدولــة لاتوظف ولاتُصعد في الترقيات المهمــة إلا من كان منها ، فأصبح الحفاظ على تلك الصفة

وربما الوضع ميزة مطلوبة للحصول على الوظيفة وتسهيل الخدمات والامتيازات ،حتى أن أحدهم وكان صاحب (دكان) صغير بالكاد يقيت منه عائلته ، فلما أممت الدولة كل شيء حتى التجارة، التي احتكرتها حتى لاتسمح بنشوء الرأسمالية من جديد، لم يعد الدكان يدر دخلا يذكر ، فطلب من ولده أن يلتحق بالجيش حتى يساعده في إعالة أسرته ، وأجريت له عمليات البحث الاجتماعي المعهودة حينها وتم رفض طلبه لأنه صُنف برجوازية صغيرة وكان رد والده بالقول: (حقي عليكم الله ذي ماتشتون الناس إلا فقراء)، بالرغم من وضعه التعيس إلا أن النظام وأدواته من الجهلة كانوا يريدون أن يثبتوا التغيير بإفقار الميسور وتحسين وضع المعدم . بمعنى آخر تبادل أوضاع بين طبقات الشعب الواحد ، لكن ما تم هو إفقار الميسورين وبقاء حال المعدمين ، فلا هذا تأتى ولا ذاك حصل.

ظهرت طبقة جديدة لتحل محل التي قُضي عليها ولكنها كانت تتستر على نفسها، قدر ماتستطيع، وتتنطع بنفس الشعارات السابقة . وهذه الطبقة هي طبقة مسئولي الحزب والدولة على كثرتهم . وبدأت تتمتع بما سبق وأن أنكرته على غيرها ، فأصبحوا يتقاسمون الفلل والسيارات والتموينات الخاصة من العجول والأغنام من مزارع الدولة للتسمين والتي لا يستطيع المواطن العادي الحصول على أي شيء منها ، والخمور والمواد الاستهلاكية الأخرى من

شركة التجارة الخارجية التابعـة للدولة والتي كانت توفر تلك المـواد للأجانب، فقط، وبسعر خاص لكبار قيادات الحـزب والمسئولين ، بينما مُنع الاستيراد عن الشعب إلا في أضيق الحدود وعبر شركة التجارة الداخلية، توفيراً للعملة الصعبة، كما كانوا يرددون ، حتى الخضروات التي كانت تزرع محلياً إن لم يبكر المواطن ليصطف في الطابور من بعدٍ وقت السَّحَرَ فلن يجد حاجته بعد الساعة الثامنة صباحاً ، وممنوع نقل المنتجات الزراعية واللحوم والأغنام بين المحافظات بكميات الاستهلاك الشخصي إلا بترخيص من المحافظ . .!! كي لايتم التلاعب بثروات البلد ومحاربة للسوق السوداء التي خلقوها هم بسياسات المنع تلك ، كما تمتعوا بالسفر للاستجمام والراحة إلى البلدان الاشتراكية، تحت مسميات رسمية عدة ومُنع عن الآخرين . ولو عُمل بحث محايد لما أظهرته هذه الطبقة البديلة من الممتلكات الخاصة بعد الوحدة لوجد أنهم امتلكوا ما يعادل عدة أضعاف عمّن أنكروا عليهم الملكية الخاصة وأمموها وصادروها عليهم وأثاروا عليهم عداء ونقمة الكادحين والطبقة الرثة ، وسجنوهم أو (لحسوهم) بسببها . وقد سرقوا الطرفين معاً . . سرقوا ثقة الكادحين بدغدغة عواطفهم واحتياجاتهم المعيشية بالوعود التي قطعوها لهم، وسرقوا ممتلكات المالكين وبان عليهم الثراء بعد حين !!

المكيفات كانت ممنوعة، نهائيــاً، لأن كهرباء عدن التي كانــت طاقتها لاتزيد عــن عشرين ميجــاوات لاتتحمل عــبء المكيفات، وتوفــيراً للعملة الصعبة ، ثــم سمح بها للمسئولين وللمرضى الحاصلــين على تقارير طبية معمدة مــن عدة جهات، بالموافقة (نظــراً للضرورة التي تفرضها حالة المريض).

كان العقــلاء وأصحاب المنطق مــن المواطنين يعتقدون بأن النظــام الجديد سيأتي لهم بالخــيرات، حسب الوعود والأحــلام التــي كانت ترســم وتدغدغ عقــول المواطنين البسطــاء الذين يعتقدون، بماهو متعــارف عليه، بأن الدولة إن لم تعــط فهي لاتأخــذ ، فإذا بهم يفاجــأون بأنها تأخذ من المواطنين الذين يملكون وتعطيه لآخرين لايملكون . وقد عبر الشاعر عبدالله الخدش مرقشي عن هذا الحال فقال :

يالقوميه قامت على بوكـــــم
ياذي تزروها بلا معنى
إحنا « لبى »[٤] من ذي تجيبونه
وانتو تبو من ذي قده معنا

لقد بدأت الإجراءات الثورية بمصادرة أملاك السلاطين والأمراء والمستوزرين بعد الاستقلال مباشرة ، ومن ضمن

(٤) نبى او نريد بلهجة بعض مناطق المحافظات الجنوبية .

مانص عليه قرار المصادرة حتى مصادرة الأغنام والدجاج مع العلم أنه لم تكن هناك حينها مزارع على مستوى تجاري وإنما كان الأمر لايتعدى التربية لأغراض الاستهلاك المنزلي وبأعداد قليلة ماكانت تستحق ذكرها بالقانون. ثم، بعد ذلك، صدر قانون الإصلاح الزراعي والذي حدد الملكية للأراضي الزراعية بعشرين فدانا ومازاد عليها ينتزع من صاحبها ويوزع على غيره. وفعلا تم حصر الملكية بخمسة فدانات، بدلا من عشرين ومازاد انتزع من مالكه وأعطي لغيره. وهنا كانت البداية للمتضررين من الإجراءات الثورية. ثم تم الدفع بالموظفين والغوغائيين[٥] بمسيرات تطالب بتخفيض الرواتب ويهتفون (واجب علينا واجب تخفيض الراتب واجب)، فمن الموظفين من اندفع بحماس الهتافات وغليان المشاعر، وعندما عادوا إلى منازلهم وهدأت نفوسهم إذا بهم يفيقون على ماارتكبوه بحق أنفسهم، ومنهم من هتف خوفا ورعبا وهو متأكد من أن هتافه هو تحصيل حاصل وعدمه لن يجعل النظام يتراجع عن قراراته .. بعد ذلك أتى قانون تأميم المنازل والمنشآت وهذا كان بالأساس في المدن، وانتزعت هذه الملكيات من أصحابها ولم يترك لهم إلا مايأويهم في حدود الكفاية المحسوبة. وهكذا بدأت تتسع رقعة المتضررين من الإجراءات الثورية، واحتكرت شركة

(٥) فوضويون

(التجــارة الخارجية) وبذلك تضرر من بقي ولم يهرب من التجــار المستوردين، وقام النظام ببيــع احتياجات الناس الضرورية ومنــع كل مااعتبره كماليات ، وذلك عبر فروع شركة التجــارة الداخلية وبالبطاقــة التموينية التي كانت تمنح للفرد ثلاثة كيلوجرام سكر وللأسرة من خمسة أفراد ومــادون نصف كيس دقيق ، وتفرضــ بيع المواد التالفة أو غــير المطلوبة التي أخطأت الشركة باستيرادها إضافة إلى المقــرر بالبطاقــة التموينية وإلا مُنع مــن المقرر له . وهكذا أضيــف للمتضرريــن أعداد جديدة وكبــيرة من أصحاب المحــلات التجارية التي أغلقت معظمهــا، ومن بقي فاتحا فعلى القليل جداً من البضائع التي كان يحصل عليها من شركة التجارة، إن كان لديهم فائض منها . ماكنت ترى أي محل تجاري في شارع المعلا سوى اثنين من المطاعم ومعظم المحلات التجاريــة في شارع الطويلــة والزعفران مغلقة، ومابقي مفتوحاً فــتراه فارغا وخاوياً من البضاعة. وكانت كل الإجراءات تتم ولا أحد يجرؤ على أن يعترضها. فالبيئة قد أصبحت مشحونة بإرهــاب الدولة وغوغائية أدواتها . وهكــذا بدأت الأحلام الوردية تتبخر لدى الناس وأحسوا بوطأة الواقــع المتردي . وأخذ الرجــال والشباب بالمغادرة إلى المحافظات الشمالية وإلى دول أخرى، وزادت الأعداد إلى حــد وصــل، في بعضــ المناطق الحدوديــة انه لم يبق فيهــا إلا الأطفال والنساء والشيوخ ، فاتخذ الحزب إجراءً

انتقاماً مــن المواطنين الذين غادروا وذلك بتهجير أسرهم قســراً إلى مناطق الحدود مع ماكانــت تسمى (الجمهورية العربيــة اليمنيــة) وكانت تستقبلهم المخيمــات - بعضها مــن الأمم المتحدة - في حريــب وقعطبة وجرانع في قضاء ماويه والبيضاء والسوادية والراهدة والمفاليس والوازعية ومــوزع ومعبق من المقاطرة ، وقد بلغــت أعداد المهجرين من الأســر، في فترة قصيرة، حــوالي ثلاثمائة ألف نسمة حسب إحصائيات منظمــات الأمم المتحدة . كذلك استمر الرجال،والشباب خاصة، من حملة الشهادات والكفاءات بالتدفق خارج اليمن الديمقراطية ، فشعر النظام بأن الأمر، إذا ظل كذلك، فسيكــون لديه كيان دولة بلا شعب ، فمنع السفر ،نهائياً إلاّ في حالات مشددة من الإجراءات الطويلة والتي كانت تحول دون سفر الكثيرين لأسباب يراها جهاز أمــن الدولة أو لجان الدفاع الشعبــي أو منظمات الحزب . وإذا تمت الموافقة فللنساء والأطفال أما الرجال فللحج فقط وفــوق سن الأربعين . وفوق كل ذلك فالسفر كان لا يتم إلا بشروط وضمانات مالية نقدية مرتفعه - كان لا يقدر عليها إلا المغتربــون - بالعودة والالتزام بقانــون صيانة الوطن ، أي عــدم الحديث خارج الوطن عــن الإرهاب الحاصل في الداخل. وكان كل من يحاول الهروب عبر الحدود يتعرض، للقتل أو السجن . والتقديرات المتحفظة تحصر أن حوالي مانسبته ٢٥ في المائة من أبناء المحافظات الجنوبية حينها

قد تركوا موطنهـم، في تلك الفترة، وهاجروا فراراً وعنوة. ومعظم أولئك استقروا في مهاجرهم أو تجنسوا فيها.

كان الاتصـال الهاتفي مع الخارج محـدوداً جداً وعبر سبـع أو ثمان كابينـات موجودة في خـور مكسر والمعلا والمـكلا، وعلى كل مواطـن في المحافظـات أن يأتي إلى هنـاك إذا أراد الاتصال الـدولي، والتسجيل من الصباح وكانـت كل المكالمـات، وبحكم قلة الخطـوط، مراقبة، ولا أحد يجرؤ أن يتكلم سوى بالسلام والتحية وأخبار الأسرة والإرساليات.

لقـد مثل، ماسمي بقانون صيانة الوطن، الحلقة الأخيرة مـن الستـار الحديـدي الـذي أتـاح للحزب -بعـد ذلك -الدخـول في عمليات التصفيـات الجسدية أو (اللحس) ، كمـا كان يُطلق عليهـا من قبل المواطنـين. وقد شملت عمليات التصفيات السلاطـين والمشايخ والسادة وعلماء الدين وأئمـة المساجد والمتضررين مـن إجراءات الثورة والإقطاعيين ومن أبدى امتعاضاً من الأعمال الغوغائية أو الإجـراءات الثورية، كما كانـوا يسمونها وغيره.. وغيره . وكان المواطنـون لا يجرؤون على تناقل أخبار مايحدث مـن تصفيات إلا في إطار محدود، جداً، فالكل كان يخاف مـن مخابرات الدولة والتي قد تكون، أحياناً ضمن العائلة . وقـد بلغ الأمـر أن طلب مـن بعض من طلبـوا الانتماء إلى الحزب وهـم من أسر مصنفة علـى أنها متضررة من

الإجراءات الثورية أن يثبتوا (انسلاخهم) من أسرهم؛ إما بالتجسس عليها أو بتصفية والديهم على أيديهم ! ! وقد فعلها البعض والأكثرية اعتذر لعدمٍ المقدرة على فعل ذلك . ولقد تمت تصفية أعداد كبيرة جداً فرادى وجماعات وفي جميع مناطق اليمن الديمقراطية، والكثير من التصفيات التي كانت تتم في المناطق الريفية كانت لاتدفن الجثث فيها وتترك في العراء .

ويبدو أن من كانوا ينفذون مثل تلك التصفيات كانوا يشعرون بالخوف والتردد ولذلك عُرف عنهم أنهم كانوا يحتسون الخمر قبل التنفيذ. وقد حدثت بعض الخلافات والاقتتال بين بعض المنفذين بسبب سكرهم . ولا يوجد حصر لأعداد من تمت تصفيتهم من غير التصفيات التي تمت فيما بينهم البين ، لكن ربما يأتي اليوم الذي ستحصر فيه هذه الحالات، بكامل تفاصيلها، كما حصل في الأنظمة الشيوعية الأخرى ، وتسأل العدالة بأي ذنب أزهقت تلك الأنفس ؟ فالجريمة لاتلتغي بالتقادم والعديد من دول أمريكا اللاتينية حاسبتٍ من ارتكبوا مثل هذه الجرائم، بعد مضي ثلاثين وأربعٍين عاماً ونفذت فيهم الأحكام .

وتدليلاً من الشعر على تلك الممارسات من الصراعات المتكررة على السلطة ومن التصفيات والتعذيب وأخذ ممتلكات المواطنين أورد هنا ماقاله الشاعر أحمد سعيد بلعيدي مرقشي عندما قام أحد قياديي الدرجة الأولى

للحـــزب بزيارة منطقة « شقرة » مـــن محافظة أبين وذلك بعد الوحدة مباشرة:

حيا بكم ياأهل الشروع الوافيه
ذي الشرع دايم بينكم تتقالبوه
حيّا بهم ذي هم يشلون الثقل
حتى ولو جار الثقل مايحسبوه
القـــوميه منـّـا ونحنا منها
لكن جازونا وسوو اذي يبـــوه
شـــلوا أراضينا وشلوا حقنا
والناس شلوهم علينا بوه، بـــوه
شـــلوا أوادم مادرينا وينهم
والحي ذي باقي مكانه عذبـوه
لكن رعا الله بايخّلص بيننا
مابايموت الحق واهله يطلبوه

أفـــراد لجان الدفـــاع الشعبـــي كانـــوا أداة مـــن أدوات التجسســ والإبـــلاغ والإرهـــاب، وهـــم وعلـــى جهلهـــم يتحكمـــون بالمواطنين ،بشكل مضحـــك مبك، في كثير من الأحيـــان ، وكانوا مكلفين بحراسة الوحداتً والأحياء. من أعداء الثـــورة الوهميين من الإمبريالية والرجعية والمرتزقة ، ويفرضـــون على المواطنين نوبات حراسة ومبادرات عمل تطوعـــي ، ويقومـــون بالتصنت على المواطنـــين من جانب

شبابيك منازلهم خاصة للتأكد من عدم استماعهم لإذاعة لنــدن وإذاعة الجنوب الحر ، ويمنعــون العائلات من البكاء بصوت مسمــوع إلى خارج المنازل علــى أقربائهم الذين تمت تصفيتهم .

كل تلــك الممارسات خلقت أجواء من الإرهاب والرعب الشديديــن لدى المواطنــين، فلا يذكرون أدنــى ذكر ماكان يجــري ســواء أكان باتصالاتهــم المحــدودة إلى الخارج أو المسافريــن عند سفرهم ووجودهــم في الخارج أو حتى في الجلســات الاجتماعية في الداخــل ، وحتى المغتربون كانوا يتجنبــون مثل تلــك الأحاديث التــي يسعى بعدهــا أفراد أمــن الدولة المنتشرون حتــى بين المغتربين خــارج اليمن . وقد جرت العديد مــن التصفيات خارج اليمن لمن تطرقوا لتلــك الجوانب المحظور الحديث عنهــا . وكان أشهر هؤلاء الذين تمــت تصفيتهم «علي محمد الشعيبي » عندما أصدر كتابــا في بيروت بعنــوان (اليمن الديمقراطيــة خلف الستار الحديدي)، تطرق فيه إلى مايحدث من الصراعات والإرهاب والتصفيــات ، ومحاولة اغتيال محمد علي هيثم في القاهرة واغتيــال محمد أحمد نعمــان وعبدالعزيز الحروي في لبنان واغتيــال محمــد عبدالله الحجــري في لنــدن ،وكما حدث مــع « حســين صالح المصلــي» في أمريــكا ، وتصفية والد رشــاد عبدالرحمن العفيفي الكبــير في السن في أبين، لأن ولده رشاد الذي كان يعمــل في الكويت، قد بعث ببرقيات إلى الجامعــة العربيــة والأمم المتحدة طالبهمــا بالتحقيق في

جرائم التصفيات والإرهاب الـذي تمارسه الدولة في اليمن الديمقراطية .

المغتربـون لم يسلموا مـن الإرهاب والتعسـف، ولولا أنه لا يوجـد لدى الاتحاد السوفييتي مغتربون وإلا لطبقوا تجربته تجاههم. وكثيرة هي الحكايات المضحك بعضها والتي تعاملوا بها مع المغتربين، وكلها تدل على التخبط والجهل والضحالة في الخـبرة والعقـول والإحساس بالمسئوليـة ولولا شعوري بـأن من جرت مع بعضهـم تلك الإجـراءات أو الممارسات قد لا يرغبون بإيرادها، لأنها تخص شئونا أسرية وشخصية لسردت بعضا منها هنا .

بشـكل عام كان النظام يتعامل مـع المغتربين على أساس مبـدأ نظرية الشك فيهم ، وكان قدوم معظمهم لزيارة وطنهم وأهلهم غير مرغوب فيه، ويتعرضون للمضايقات والاحتجاز وتعقيـد معامـلات خروجهـم وكان ينظر إليهم علـى أنهم يجرحـون مشاعر الكادحـين الذين لايملكـون، عندما يرون مايجلبونه هـؤلاء معهم من أغراض ومتـاع لهم ولأسرهم. فقلـت زياراتهـم أو كادت تنعـدم في فترة معينـة كثر فيها الإرهاب والتعسف .

لقد ألغوا، بقانون، مسميـات القبائل من أسماء المواطنين ومـن هوياتهـم ، وقضـوا على الفـتن والثـارات المقيته بين القبائـل، لكنهم أحلوا، بـدلا عنها، ماهو أسـوأ وأكثر مقتا، فلقـد تضخمت وأصبحـت المساوىء بالحجـم الثوري وبين المناطـق بدلاً من القبائل ،وضحاياهـا بالمئات والآلاف، بدلا من الأفراد، والفتنة الثورية قد حلت بدلاً من الفتنة القبلية.

السياسة الخارجية

على مستوى السياسة الخارجية وُضعت العلاقات مع الدول على أساس ميزان المنظومة الاشتراكية التابعة للاتحاد السوفييتي والتطبيق (الخلاق) للنظرية الماركسية اللينينية وبمايخدم طموحات الاستعمار الشيوعي في منافسة الإمبريالية الأمريكية وليس على حسب ماتقتضيه المصلحة الوطنية لليمن الديمقراطية ومواطنيها. فصُنفت الدول، بالأساس، على أن من لم يكن صديقي فهو عدوي، وصديق الاتحاد السوفييتي صديقي وعدو صديقي عدوي. ثم يأتي التصنيف في أنواع الصداقات والعداوات ، فهناك الصديق الاستراتيجي وهم مجموعة المنظومة الشيوعية والتي تشترك جميعا بنظرتها ذات الأيدلوجية (الأممية) . والصديق التكتيكي أو المرحلي ويضم هذا النوع الدول التي تتطلب (المرحلة) عدم استعدائهم حتى تنضج

الظـروف (الذاتيـة والموضوعية)، وتصنـف جميع الدول العربيـة والإسلامية من هذا النوع ماعـدا المملكة العربية السعوديـة التي كانت تسمى منفـردة بـ (العدو التاريخي). وبالرغـم من أن مصـر والعراق وسوريـا كانت ترتبط بعلاقـات قوية بالاتحـاد السوفييتي وتنتهـج، بشكل، من الأشكال بعض مفاهيم النظام الاشتراكي إلا أن النظام في عدن كان يرى في نفسه النظام العربي التقدمي الوحيد في الوطن العربـي وأن مصر وسوريا والعراق لم تبلغ الكمال في تطبيـق نظريـة الاشتراكية العلمية، كمـا فعل الحزب الاشتراكي في عدن .

أمـا العدو الاستراتيجي فهو بالطبـع أمريكا وحلفاؤها وبالذات مـن دول أوروبا الغربية . وهكذا حُصرت الثقافة والتبادل الثقافي على مايأتي من المنظومة الشيوعية وكذلك المعونـات والتي كانت تصنف بعضها على أنها مساعدات (أمميـة) وبعضهـا علـى شكل قروض لشـراء أسلحة ويستورد ببعضها الاتحـاد السوفييتي مواد غذائية ويعيد بيعهـا وتصديرها إلى اليمن الديمقراطـي . وهناك العديد من المشاريع التي عُرضت لكي تُنفذ في اليمن الديمقراطية مـن بعض دول (رأسمالية)، لكنهـا رُفضت لأنها ليست مساعدات (أممية)، ولأن القبول بها يمثل توجهات (رأسمالية). وفي حقيقـة الأمـر أن أياً من قيادات الحـزب الاشتراكي حينهـا، ماكان ليجرؤ على القبول بذلـك لسببين ، الأول :

المزايدة وتربص القيادات بعضها ببعض لإطلاق التهم مثل التطلعات الرأسمالية أو التعامل مع الدول الرجعية


مطيع


ربيع

أو الإمبريالية والتخلص ممن يقدم على ذلك مثل ماحدث مع الرئيس سالم ربيع علي أو مع محمد صالح مطيع، والثاني : خوفا من الاتحاد السوفييتي (الصديق) نفسه الذي يمثل رقابه فوقيه على جميع قيادات الحزب والذي سيصنف من يفعل ذلك ويحرض عليه بقية رفاقه لتصفيته أو تدبير أمره .

وبالرغم من أن اليمن الديمقراطية كانت منحازة كل الانحياز ويعتبر قادتها أنهم جزء من المنظومة الاشتراكية ولم يفضل إلا انضمامهم إلى حلف وارسو ، لكنهم هنا مارسوا ازدواجية بانتمائهم إلى دول عدم الانحياز، مع العلم أن هذه المنظمة أنشئت من الدول التي تصنف نفسها محايدة وغير منحازة، لاسياسياً ولا عسكرياً لأي من المعسكرين الغربي أو الشرقي .

ولقد اعتقدوا أنهم سيكونون أوصياء على الجزيرة

العربية ويغيرون أنظمتها وتركيبتها الاجتماعية بتفويض من الاتحـاد السوفييتي ، وأن الثورة الحمـراء التي أطلقها الحـزب الاشتراكي من عدن يجـب أنٍ تشعل كل الجزيرة العربية والخليج. وكان طموحهم خيالياً ولقمة كانوا أصغر مـن أن يبتلعوها . لقد دعموا جبهـة تحرير عمان والخليج العربي والتـي كان مقرها عدن وتنطلق في محاربة سلطنة عمـان من المهرة ، ولأن السلطنـة، في حينها، لم يكن لها جيش وكانـت في بدايات تطورها فقد لجـأت نحو إيران لتقـديم الدعـم والحماية ،لأن من كان يهـدد عمان ليست الجبهة لحالها ولكن جيشـ اليمن الديمقراطية المدعوم من الاتحـاد السوفييتـي . وكان من ضمن الدعـم العسكري لمواجهـة سلاح الجو الإيـراني صواريخ سـام متطورة لم تقدم حتيٍ لمصر وسوريا في حينها.

وبـدلا من أن يحاول النظام تحقيـق الاستقرار والاتجاه صـوب التنمية ، فإنه أكثر مـن خلق الأعداء والخصومات مع الخارج .في حين كان الشعب يعيش حالة توتر واستنفار وعدم استقرار مستمر، بل مزمن ، إما صراع وتوتر داخلي وإما توتر وقتال مع المحيطين بسبب الوهم الذي خلقه لديهم الاتحاد السوفييتي بأن اليمـن الديمقراطية ستكون مشعل الثـورة الحمراء التـي ستنتشر منهـا إلى الجزيرة والخليج والقرن الإفريقي. ولقـد قام الحزب، وتنفيذاً لرغبة الاتحاد السوفييتـي، بدعم نظام (منجستـو هيلا مريم) الشيوعي

في إثيوبيـا وقاتل معه ضد الصومال في منطقة (أوجادين) وشارك - على وجه الخصوص - بسلاحه الجوي والدروع حتى تم احتلال أوجادين الصومالية لصالح أثيوبيا . فهل يعرف القـارئ ماذا فعل نظام « هيلا مـريم » ليثبت نفسه بعد أن كثرت المظاهـرات الرافضة له ؟! لقد أطلق الجيش الرصاصـ على التظاهرات الطلابية التي قامت في أديس أبابـا في إحدى المـرات فقتل فيها حـوالي ستمائة طالب وطالبة، وكان الحزبٍ في عدن مؤيداً لإجراءات ذلك النظام باعتبارهـا أعمـالا لابد منهـا لحماية النظـام الاشتراكي التقدمي في إثيوبيا ! ! .

الجمهورية العربية اليمنية حينها كانت ضمن سياسات نظام الحزب الاشتراكي الخارجية والوحدة كانت مجرد لافتة وشعـار لايمكن أن يتحقق إلا بشـروط النظام الاشتراكي التقدمـي، من خلال قيام نظام مماثل في صنعاء.، وقد عمل الحزب على التجمّيع والتشجيع لتغييرٍ نظام الحكم في صنعاء لكي يكـون نظاما اشتراكياً تقدميـاً ملتحقاً بركب الأممية وحّرض بشكل قوي علـى الاختلالات الأمنية فيها، وقد نجح في المناطق الوسطى ومارس أعضاء ما كانت تسمى بـ (الجبهة الوطنية) ممارسات مقلدة لتلك التي كانت تحصل في المحافظات الجنوبية من التصفيات الجسدية والإرهاب ونشر الثقافـة الاشتراكية والوعود بدولة العدل والمساواة والرفاه !!؟

أمـا المملكة العربية السعوديـة (العدو التاريخي)،كما كانوا يسمونها فقد اعتبروها رأس حربة الأنظمة الرجعية كما وصاهم الاتحاد السوفييتـي ضدها وناصبوها العداء. ولـولا معرفتهم بـأن الدخـول معها في مجابهـة مباشرة ستكـون خاسرة ،كما حـدث في الوديعـة، لكانوا فتحوا جبهات القتال معها ولدعموا المناهضين للدولة السعودية عـبر الحـدود. ومع هـذا لم ينفـك إعلامهم مـن مهاجمة «العـدو التاريخي» والذي هـو من الأنظمة التـي ستأتي الاشتراكية علـى أنقاضها، كما كانـوا يعتقدون . وكانت ردة فعل المملكة دعم مجاميع من الهاربين من نظام الحزب الاشتراكـي وممارساته والذين كان يطلـق عليهم الحزب صفة (المرتزقة).

من أدبيات الحزب

أدبيات الحزب الداخلية تصف المناضل الثوري بأنه (ذلك الذي يبذل كل تضحية يفرضها عليه تحقيق الأهداف الثورية ولو تطلب الأمر التضحية بالكرامة والضمير).

وكان الحزب، في أدبياته، يحث المناضل الشيوعي الاشتراكي الوطني على (أن يتمرس على شتى ضروب الخداع والغش والتضليل من أجل الكفاح لبناء الاشتراكية) ، وأنه (إذا لم يكن المناضل الشيوعي قادراً على أن يغير أخلاقه وسلوكه، وفقاً للظروف، وفي اللحظة الضرورية، بما يتطلب ذلك من كذب وخداع ومناورة فإنه لن يكون مناضلاً وثورياً حقيقياً) . وأن الهدف (يجعلنا أن نستعمل كل الوسائل من الحيل والمناورات غير الشرعية وغير الأخلاقية حينا).

إن كل ما أوردناه بالنص من أدبيات الحزب يمكن تلخيصه بما كانوا يرددونه علنا (الغاية تبرر الوسيلة).

الآن... العديد منهم يمارس صفة المناضل الثوري، كما وردت في أدبياتهم ،منذ مابعد ١٩٩٤م وضمن مايسمى بالحراك الجنوبي.

لقد أعادوا صياغة التاريخ الإسلامي وكتبوا ودرّسوا مانبغت فيه قريحة منظريهم ومؤرخيهم في المدارس الحزبية، واعتبروا ، في أدبياتهم ، التقسيم الطبقي للصحابة فـ« عثمان ابن عفان » و« عمر بن الخطاب » مثلا أعتبروا من طبقة الكمبرادور واعتبروا أبا ذر الغفاري رمز ومناضل الطبقة الكادحة من الصحابة ، كما اعتبروا الأسود العنسي - وهو المرتد والخارج على الدين - ثائراً ومناضلاً وطنياً وقائد حركة تصحيحية تمرد على (محمد)[٧]،الذي تحالف مع الاستعمار الفارسي ، كما اعتبروا في أدبياتهم أن (محمد) - هكذا كانوا يذكرونه - كان مُصلحاً اجتماعياً ومناضلاً عادلاً ضد الإقطاع ، وأن الصحابة الذين أرسلهم (محمد) إلى اليمن قد انحرفوا عن الخط الذي سار عليه ، فمثل علي بن أبي طالب الاتجاه الديمقراطي ، بينما عثمان بن عفان مثل الجناح اليميني الارستقراطي ، وقد امتدحوا «الخوارج» و«الشيعة » و« القرامطة » و« المعتزلة » و«إخوان الصفا » واعتبروها تجارب ثورية تجديدية .

الموقف من الدين والثقافة

لقـد حمّل النظام الذي قـام في عدن كل ما سبقهم من تاريـخ وعقيـدة ونظام اجتماعـي أسبـاب الفقر والجهل والتخلف وعدم وجود العدالة الاجتماعية والتقدم والرفاه، وكان للدين نصيب وافر من التهمة، باعتباره سبباً رئيساً للتخلـف والتأخر الاجتماعـي ورددوا مقولة ماركس بأنه فكـر رجعي وإقطاعـي وأنه أفيون الشعـوب . ولقد بدأت الممارسـات المتعارضـة مع الدين الإسلامـي بعد انقلاب ٢٢ يونيـو ١٩٦٩ م وبعـد أن سيطر جنـاح اليساريين والشيوعيين من صغار السن على السلطة، ولم يكن عملهم حينها ممنهجاً ولكنه اجتهادات واندفاعات كانت تنبئ عن الاتجـاه، وقد بلغ ذروته لهذه الفترة عام ١٩٧٢م بالقتل والتمثيـل والسحـل بالسيارات لعلمـاء الدين من خلال مظاهـرات وانتفاضات فلاحية في المناطق الريفية نظمتها ودفعت بها القيادات المحلية للحزب السياسي الحاكم عام ١٩٧٢ م. كانوا يطالبون هـؤلاء العلماء بالإفتاء بجواز

أخذ الأراضي الزراعية وتأميمها من قبل الدولة وتوزيعها على غير مالكيها، والإفتاء بحرية المرأة وإخراج نساء هؤلاء العلماء سافرات جبراً للمشاركة في تلك المظاهرات الغوغائية ومن يمتنع عن مجاراة مطالبهم سُيّرت المظاهرات باتجاههم وبشعارات ضد الكهنوت ، كما أسموهم مثل (لاكهنوت بعد اليوم) ، وتحمي هذه المسيرات قوات من المليشيا والأمن .

مارس الغوغائيون أعمالاً وحشية وهمجية ضد هؤلاء العلماء الذين اقتيدوا إلى الساحات مربوطين بالحبال، مع الهتافات الحماسية والتصفيق والرقصات الشيطانية وكأنهم من أقوام مجاهل إفريقيا من آكلي لحوم البشر الذين يقومون بتلك الطقوس قبل افتراس ضحيتهم التي لاحول لها ولاقوه . وكان يتم قتلهم بعد ضربهم بالنُعل والعصي والأيدي ، ثم يسحلون بالسيارات أو بالرمي بالحجارة وضرباً بالفؤوس ، ولا يكتفى بذلك ،بل يمنع أي كان من جمع أشلائهم وتكفينها ودفنها، وتترك في العراء نهباً للجوارح والكلاب . وقد تمت هذه الممارسات في «نصاب » وحبّان من محافظة شبوة وفي وادي دوعن وتريم ووادي بن علي ومنطقة جفل ومنطقة الغرفة ومدينة شبام ومنطقة قارة آل عبدالعزيز من محافظة حضرموت،وكذلك في محافظة المهرة ، وجُل أعمار هؤلاء الشيوخ والعلماء

تــتراوح بين الستين والتسعين عامــاً ، أما في محافظة عدن فقــد صعُب ممارسة نفس الممارسات التي تمت في الأرياف لوجود بعضــ السفارات العربية فيهــا والتي كان لبعض علماء الديــن علاقة بممثلي تلك الجهــات وإذا حصل أمر مماثــل فسيصعب إخفاؤه أو تكذيبــه أو حتى تبريره ،كما كان يحدث مع المُجريات التي حصلت في المناطق الريفية، وأيضا لأن معظم سكان عــدن حالة مدنية وثقافية تمنعهم من ممارسة مثل تلــك الأعمال ،بالرغم من وجود أقلية من الطبقة (الرثة) كما كانوا يطلقون عليهم والتي قامت الثورة من أجلهم وانتهت وهم لايزالون كذلك . وتمارس الأعمال الغوغائية من خلال الدفع بهم بأي اتجاه مطلوب ، ومع هذا فان النظام حاول تدبير عمليات قتل ضد هؤلاء العلماء في محافظة عدن لتبدو وكأنها غير مقصودة كحادث الدهس بالسيــارة الــذي نجا منه الشيخ « علــي محمد باحميش » وغــيره ،ومنهم الشيخ « محمد بن سالم البيحاني» والذين اضطر العديد منهم، لاحقاً ، إلى الهجرة بأرواحهم ودينهم خارج اليمن .

ولأن فعــل القتل هو الأكبر مــن حيث حجم الجُرم فقد اكتفينــا به عن ذكــر عمليات الاعتقــال والسجن المتكرر والتعذيــب والتحقــير . وهناك تقديرات غــير محققة بأن مــن تم تصفيتهم جسدياً مــن العلماءوالمشايخ يتجاوزون

مئةوسبعين شخصاً معظمها حدثت في حضرموت ثم شبوة.

وبالرغم من أن دستور اليمن الديمقراطي ينص على أن دين الدولة هو الإسلام ، إلا أن النظام قد أبهت دور المساجد، تدريجياً في تلك المرحلة وأبقاها مباني اعتبرت جزءاً من الآثار والتراث ، ووصل الأمر ببعض قياديي الحزب إلى طرح المقترحات لتحويلها إلى إشراف إدارة الآثار، وحارب النظام ترميم أو بناء المساجد عبر نظرية الشك من المؤامرة والإرهاب الفكري والنفسي بحيث جعلت المواطنين والمغتربين يحجمون عن فعل ذلك حتى لا يتهمون بأنهم تسلموا أموالاً تحت هذا المسمى من (القوى الرجعية والمخابرات الخارجية). وهي تهمة تؤدي إلى تصفية من تلصق به من أجل الحفاظ على النظام الثوري . وقد تم السماح بتدريس السيرة النبوية والدين الإسلامي على أنه تاريخ للتراث الاجتماعي ، وفي نفس الوقت ليمثل لافتة شكلية ترفع أمام الدول الإسلامية وأمام الشعب نفسه ، واعتبروا أن الالتزام بالفرائض (يقلل الإنتاج ويهدر الطاقات الوطنية في البناء والتعمير وخدمة الثورة)، وألغيت البسملة من التعامل بها في حياة الناس والدولة واستبدلت بشعار (لنناضل من اجل الدفاع عن الثورة اليمنية وتنفيذ الخطة الخمسية وتحقيق الوحدة اليمنية) . ومن كان ملتزماً بالصلاة كان يوضع في دائرة الشك

والتهمة ، ولا يتم قبول من يصلي في عضوية الحزب ولا ترقيته إلى الوظائف العليا في الحزب والدولة وفي قيادات الجيش والأمن والمخابرات . وأبقوا على المظاهر العامة للمساجد وزيارات الأولياء والقبور من باب نفي التهمة أمام الدول الإسلامية التي لم تحن المرحلة لمجابهتها علنا، وتم تعطيل وإلغاء جميع الأحكام الشرعية تقريباً من خلال إصدار قانون العقوبات، المعتمد أساساً على القانون البلغاري وبعض قوانين الدول الشيوعية الأخرى ، ومن خلال قانون الأسرة ، وقانون التأميم وإلغاء الملكية الفردية، فعطل بذلك نظام المواريث والبيوع والعقود الشرعية في المعاملات والكثير من الفروض والواجبات الشرعية ، وقانون الإسكان وانتزاع ملكية المساكن من أصحابها الشرعيين وتحصيل إيجاراتها للدولة ، وقانون الإصلاح الزراعي الأول والمعدل فعطل الحقوق المكتسبة بأوجه شرعية وفتّت الأراضي حتى أصبح عائد زراعتها غير مجد، والفلاح المنتفع فيها مدين دوما لتعاونيات المواد الغذائية التي تديرها الدولة ومحصول الأرض ،غالباً، يورد لهذه التعاونيات سدادا لما احتاجه هذا المزارع منها من المواد الغذائية ، وتم تأسيس نظام التعاونيات الزراعية الذي عطل نظام الأحكام الزراعية العرفية والشرعية مثل المساقاة ، والمزارعة ، الإجارة والمشاركة ، إحياء الأرض الموات ، وأصدر قانون صيانة الوطن والذي يمنع الحديث

والاتصال بالأجانب وهو بالأساس من أجل عدم الاتصال مع الدول الإسلامية ومع المسلمين والعرب ،كي ينقطع أي رافد عقائدي ديني عن اليمــن الديمقراطية إلا مايأتي من دول المنظومة الاشتراكية مــن أجل إنجاح وإنضاج نظرية الاشتراكية العلمية كعقيدة بديلة.

وهناك العديد من القوانين الأخرى التي فرضت الإرهاب وتعــدد الأسباب والتهم الموجبة للسجن والقتل والتنكيل بحسب ماورد فيها ، مثل قانون الأمن الخاص الذي يؤدي إلى ممارســة القتل ،دون محاكمــة أو توجيه تهمة ، وقانون الرقابــة الشعبية الذي يجيــز للجهلة وغــير المتعلمين أن يراقبوا الكوادر الإدارية في المرافق والإدارات .

ادعــت بعضــ قيــادات الحــزب الاشتراكي ،بعــد قيام الوحدة، بأنهم لم يكونــوا شيوعيين ولا حزبهم ولم يسعوا مع حزبهم لنشر الفكر الشيوعي . والحقيقة أن كلامهم هذا مــردود عليهم ،وهو نوع من التقية تهرباً من بشاعة وحمق ماارتكبــوه وفشــل ثقافتهم الاشتراكيــة العلمية من عمل مناظرة مفتوحة يستطيعون بهــا طرح حججهم وبراهينهم وقناعاتهــم التي كانوا يطرحونهــا ويحاولون فرضها على مجتمــع مغلق ليس له إلا حق التلقــي فقط وأما الرد متاح فلأولئك غير المتضررين مــن إجراءات الثورة ولأصحاب

الثقافة والفكر التقدمي المؤمن بنظرية الاشتراكية العلمية فقط .

في عام ١٩٧٥م . تم تعزيز تحالف الشيوعيين في الحكم من خلال المؤتمر التوحيدي ، وتم إعلان قيام الحزب الاشتراكي اليمني عام ١٩٧٨ م وعلى أساس النظرية الاشتراكية العلمية والارتباط بالحركة الشيوعية العالمية، وفي هذه المرحله بدأ النهج النظري والتطبيقي العقائدي السياسي لترسيخ النظرية الاشتراكية والعقيدة الشيوعية بشكل لامواربة فيه . حيث كان الأمر ، قبل ذلك مقصوراً على التعبئة السرية الداخلية لبعض قيادات وعناصر الحزب ، أما بعد إعلان قيام الحزب الاشتراكي الطليعي وإعلان التزامه بالمادية الديالكتيكية والمادية التاريخية ، ووصف الإسلام على أنه (تعبير طبقي عن مرحلة من مراحل نشوء التشكيلة الاجتماعية للنمو البشري وهي المرحلة الإقطاعية ، وبأنه متخلف ولا يساير التطور العلمي والتكنولوجي ، وأنه إحدى البقايا للخرافات المخالفة للعلوم ، وأنه مرحلة انتهت) ، وأن القرآن والسنة والشريعة كتب ألفت في مرحلة الإقطاع لتبرير نظام الإقطاع) وأن (فكرة وجود الله كان مفعولها إخماد الحس الاجتماعي وتبديل شيء حي بشيء ميت مجهول وماهي إلا عبودية من أسوأ الأنواع ولم ترتبط فكرة وجود الله بالفرد والمجتمع ، بل قيدت الطبقات المظلومة بالاعتقاد بإلهية الظالمين) فقد

تغير الحال .

لابد لنا هنا من وقفة في محاولة لإعطاء مفهوم مختصر لما تعنيــه المادية الديالكتيكية والماديــة التاريخية، لأهمية فهــم ذلك لمن ليس لديهم خلفية عنهــا. وكلمة ديالكتيك كلمة يونانية تعني الجــدل والمحاورة بين مختلفين . وهكذا فــان المادية الديالكتيكيــة تعني الماديــة الجدلية . ونظرية الماديــة الديالكتيكيــة والماديــة التاريخية هــي بالأساس نظريــة فلسفية من نتاج ترف الفلسفة الأوروبية في القرن التاسع عشر وهي نظرية معقدة وصعبة الفهم ،وقد تقارب (ماركس) و(إنجلز) في مفاهيمهما مع الفيلسوف الألماني (جورج هيغل) والذي عُد صاحب نظرة مثالية والفيلسوف الألمــاني الآخر(لودفيغ فورباخ) والــذي كان أقرب لهما برؤيته الماديــة . وقد أثير جدل فلسفي بين الفلاسفة حول علاقــة الفكر بالطبيعــة وأيهّما سبق الآخــر في الوجود ، فالذين يؤكدون أولوية العقل على الطبيعة فإنهم على هذا النحــو يقبلون بفكرة خلق العــالم ،أياً كان نوع هذا الخلق وصُنفوا ضمن المدرسة المثالية ، أما الذين اعتبروا الطبيعة هــي المنشأ الأساسي فقد انتموا إلى المدرسة المادية وإليها ينتمي ماركس وانجلز ولينين والمادية الديالكتيكية الحديثة كما أطلقوا عليها .

التعريــف الواسع للمادية الديالكتيكيــة هو أنها قوانين

الحركــة ، وأن لا وجود للحركة بدون المادة ولا وجود للمادة بدون الحركة ، وهذا بــدوره يعني أن قوانين الحركة تسري على المادة، بكل أشكالها ، والحركة والمادة موجودتان طالما وُجــد الكون ، وأن الطبيعــة تتطور وتتغير وفقــاً للقوانين الديالكتيكيــة والتي أهمها قانون تحــول التغيرات الكمية إلى تغــيرات نوعية وبالعكس ، وأن الماركسية نفسها نتاج تطور حركة الدماغ الإنساني ، وأن المادة لايمكن خلقها أو إزالتهــا ، وإنما يتم تحولها من شكل إلى آخر وفقاً للقوانين الديالكتيكيــة . وبهــذا المفهــوم فإن الماء تكــوّن ولم يكن موجوداً في الكــرة الأرضية منذ نشوئها مع حدوث مئات ملايين التغيرات الكمية والنوعية وتوفر الظروف الطبيعية المناسبــة لنشوء الماء فعملت الطبيعة على اتحاد الأكسجين والهيدروجين وعلى حدوث التطور النوعي إلى حالة الماء . وهكذا وبمرور مليارات السنين ومليارات التغيرات الكمية والنوعيــة حدث الأمر مع نشوء الخلية الحية ، ووصل الأمر إلى مرحلة التحول النوعــي الكبير بانفصال الإنسان عن المجتمعات الحيوانية (من نوع القرود) .

(دارويــن) صاحب نظرية النشــوء والتطور والارتقاء والطفرة ،كما يصنفه الماركسيــون بأنه مكتشف الحركات الطبيعية الحية التي كانت تحدث على الأرض بالرغم من أن داروين لم يكن ديالكتيكيا بصورة واعية كما يسترسلون ،

إذ مارس عمله قبل معرفة القوانين الديالكتيكية واعتبروه بأنه واضع تاريخ تطور الحياة على الكرة الأرضية. ومعروف عن دارون بأنه صاحب نظرية النشوء والتطور والطفرة التي تدعي أن الكائنات الحية جميعها نشأت في البداية كخلية حية وبمرور ملايين السنين تتطور هذه الخلية،وفي ظروف غير مفسرة ،تحدث طفرة ينتقل فيها كائن إلى كائن آخر مختلف عن سلفه ويبدأ بذلك سلالة جديدة من الكائنات الحية ،وهكذا طور داروين الخلايا الأحادية إلى أميبيا متعددة الخلايا إلى كائنات مائية إلى أسماك إلى برمائيات إلى زواحف برية إلى فصائل متنوعة من الطيور الحيوانات البرية ومنها القرود ، ثم تطور قرد من فصيل معين بعملية الطفرة فأصبح إنسانا، وهكذا فكر داروين ودبرّ وادعى أن الطبيعة هي من خلق الكائنات الحية على الأرض . وبمعنى آخر اعتبر أن لا وجود للخالق ، ونظرية المادية الديالكتيكية تدعي نفس الأمر ونظرية داروين جزء من قوانينها وبراهينها .

أما المادية التاريخية فتعني تاريخ التسلسل التاريخي للتغيرات الكمية والتغيرات النوعية . بمعنى آخر هي سجل تاريخ النشوء والتطور والارتقاء للحياة على الأرض بالمفهوم الماركسي أو هو تسلسل عمليات التطور الديالكتيكي لحياة المجتمع الإنساني ، وهو غير التاريخ الذي نعرفه والذي يُعنى بتاريخ الإنسان الاجتماعي .

بعد هذه الوقفــة لتعريف المادیــة الدیالكتیكیة والمادیة التاریخیة نعــود إلى حدیثنا عن الهرطقــة التي مُورستٍ ضــد الدین والثقافــة المجتمعیة لابهاتهمــا أولاً استعداداً لإنكارهمــا نهائیاً، لاحقا ، وذلك بإیراد بعض من القواعد المنصوصــ علیها في بعضــ أدبیات الحــزب للتعامل مع الدین .

حیث ورد في وثیقة اللجنة المركزیة للحزب الاشتراكي الیمني مایلي :

- عقد هدنه أو صلح مؤقت مرحلي مع الدین .
- تجاهــل المسألــة الدینیــة مــن النشــاط السیاسي والفكــري للحزب وعدم ذكــر الدین وعــدم التعرض له وعدم المناقشة في هــذه المسائل المیتافیزیقیة (وهو الفكر في الغیبیات ،وهم لا یؤمنون إلا بالمادة الملموسة والحركة).
- المحاربــة التدریجیــة للعقیدة الإسلامیــة المتخلفة وعــدم الالتزام بها ،وذلك في إیقاف مظاهر العبادة بالنسبة للمناضلــین الواعین وعدم الالتزام به في المحاكم والقوانین وجوانب التربیة وإشغــال الناس عنه بالهموم الاقتصادیة والاجتماعیــة وتحویله عــن الوجهة الدینیــة وعدم إعطاء الفرصة للعلماء المشعوذین في إعادة الناس إلى الإسلام .

ومن ملخص نتائــج المناقشات الحزبیة للوثیقة النقدیة التحلیلیة للتنظیــم السیاسي الموحد – عدن – ١٩٧٨م نــورد هنــا بعضــ نصوصــ تعمیمــات ووثائــق الحزب

الاشتراكي:

(إن على حزبنا أن يستلهم النموذج اللينيني في حل المعضلة الدينية ومعالجة هذه القضية وفق الخط اللينيني العظيم في الاتحاد السوفييتي العظيم حيث ينص الدستور اللينيني على حرية الأديان في المرحلة الأولى ثم منعها في المرحلة اللاحقة . وعندنا في اليمن ينص الدستور على أن الإسلام دين الدولة وعلى حرية الأديان والمعتقدات والتعبير وحقوق الناس في اختيار مذاهبهم ، ولكن هذا يُعتبر موقفاً مرحلياً بسبب عدم الوعي لما تمثله الأديان من خطر كأفيون للشعوب إلا أن طبيعة المجتمع الاشتراكي سوف تحل قضية الدين بالتطور الاجتماعي الشامل من جذور هذا الفكر مع الإبقاء على حصص تقليدية في المدارس تجنباً لأي رد فعل شعبي من قبل الجيل القديم. إن القضية الدينية ليست من المهام المباشرة والملحة لمعالجتها واستئصالها كلياً بالنظر إلى عمق جذورها في المجتمع اليمني وتأثير المجتمعات المحيطة بنا وأنها عندما تتحول إلى خطر رئيسي داخلي يُعاد النظر في التعامل معها بقوة وعنف ثوري واستخدام كل و سائل السلطة المتاحة ؛ الجيش والأمن والمخابرات والمليشيا وغيرها .

(ومع ذلك يجب عدم السماح بأن تؤثر البلبلة والشائعات، بل تكون أحد عوامل الثقة لآرائنا وصواب موقفنا من الأحداث ، مع عدم الإعلان عن حزبنا الشيوعي

ونظريته الماركسيـــة اللينينية وعن كوننا جزءاً من الدائرة الحمراء العالمية) .

ووثائـــق الحزب الاشتراكـــي اليمني وكتابـــات منظريه وقادته تشترط عنـــد النشر عدم العلنية والاكتفاء بالتربية الداخلية من خلال ندوات التثقيف الحزبي والسياسي وعن ذلك تقـــول إحدى وثائق الحزب من تعميم الدورة التاسعة للجنـــة المركزية للتنظيم السياســـي الموحد الجبهة القومية ١٩٧٨ م : (لا يعمـــم هذا الوضـــوح في موقف حزبنا من الديـــن الإسلامـــي بحذافـــيره ، بل يُفترضـــ أن يكون في أضيـــق نطـــاق . إن قيام حزب ماركســـي لينيني موحد في اليمن كلهـــا لم تسمح الظروف بإعلانه الآن ، لأننا لا ننقاد إلى الحس العاطفي في الطرح العلني لأنه غير ممكن ويضر بالتجربة) .

وهـــل بعد هـــذا الوضـــوح مـــن لم يفهم توجـــه الحزب الاشتراكي حينها نحو الشيوعية ؟ لقد كان العملاء لبريطانيا الذيـــن سبقوهم أقل وزراً في عمالتهم مما فعله (المناضلون الواعـــون) ،كما يصفونهم مقارنة بما فعله عملاء الاستعمار الانجليزي الذين اقتصر الأمر على إلحاقهم،مجبرين إدارياً واقتصادياً أما الحزب الاشتراكي فقد ألحق ثقافياً وعقائدياً أيضاً وبمحض إرادتـــه ، وكاد بذلك يطمس الهوية اليمنية العربية الإسلامية . وهل بعد هذه الأدلة من وثائق الحزب

نفســه من سينكر ذلك التوجه نحو الإلحاد ومحاربة الدين مــن قياداته ومنظريه من بقي منهم على قيد الحياة والذين نحوا بأنفسهم وأتباعهم مــن(المناضلين الثوريين)وأرادوا وعملــوا على إبعاد أبنــاء المحافظات الجنوبيــة عن دينهم وعقيدتهم وخططوا كذلك لعمل نفس الأمر في كل اليمن الموحد ؟! وان الأدلة والممارسات كثيرة والمقام سيطول في شرحها وسردها وما أوردناه كافٍ للدلالة على ماحصل.

الخلاصة

قد يقول قائل منهم إن ماورد في هذا الكتيب هو اجترار للماضي كان لاضرورة له ، فنقول رداً على ذلك : إننا ماكنا نرغب في ذلك وكانت لدينا ولازالت النية الحسنه بعدم النبش في أحداث وملفات الماضي ، ولكن أيهّما أرحم ، اجترار الماضي من أجل التذكير والعبرة أو إعادة الماضي مجسداً ومغلفاً بمسميات وشعارات أخرى وجديدة دخل علينا بها من الشباك بعض أبطال الماضي الذين يطالبون الآخرين بعدم اجتراره ؟ فليترك هؤلاء العمل السياسي أمثال قدوتهم القديمة في الأنظمة الشيوعية الأخرى وليجنبوا الشعب اليمني ويلات أخطائهم المتكررة ، فالشعب ،حتى وإن أراد الإصلاح ويطالب به ،فإنه لايريد الفتن ولا يريد أن يدفع ثمناً للإصلاح على طريقتهم المعهودة . وليعلموا أن من يزين الفتنة الآن بأنه لايمتلك مكابح نهايتها وأنها كما وصفها الشاعر اليمني الكندي الحضرمي امرؤ القيس بقوله عن الحرب أوالفتنة :

الحرب أول ماتكون فتية
تسعى بزينتها لكل جهول
حتى إذا اشتعلت وشب ضرامها
ولت عجوزاً غير ذات حليل
شمطاء ينكر لونها وتغيرت
مكروهة للشم والتقبيل

وهو القائل :

تطاول الليل علينا «دمُّون»[٦]
دمُّون إنا معشر يمانون
وإننا لاهلنا محبون

فإن أرادوا العمل السياسي ، فليغيروا أسلوبهم القديم المعتمد على استخدام السلاح والصراعات الدموية والتهديد بخنق الكلمات ومنع الرأي الآخر والإرهاب ، وليثبتوا أنهم قد تغيروا وأصبحوا حالات مدنية تستخدم الوسائل المدنية في النضال السلمي من أجل التحسين والإصلاح مهما كانت الصعوبات وثقل التركة ، فبريطانيا

(٦) دمُّون ديار امرؤ القيس من وادي دوعن في حضرموت الوادي.

-ذات الديمقراطيــة العريقــة . لم تصــل إلى ماوصلت إليه دون نفس سياسي طويل مصحوبــاً بالاستقرار . وعليهم أن يثبتــوا بأنهم تقدميــون ،كما كانوا يدعــون ويسايروا العصــر الذي نحن فيه بأدواته وأن لا يجروا على أنفسهم نفس التهمة التي أطلقوها على من سبقوهم ،وأن لا يظلوا متمسكين بأدوات وأدبيات سياسة منتصف القرن العشرين وأن يُبعدوا من تفكيرهم (إما أن أكون في السلطة وإلا فإن الأوضــاع غير صحية) فعلى أيديهم أو على أيدي غيرهم لاتوجد الدولة الفاضلة .

إن العديــد من قيــادات الحزب الاشتراكــي وقواعده السابقــة قــد اعترفــت بحجم الخطــأ ، بل الأخطــاء التي وقعــوا فيها وحتــى أن بعضهم لا يرغــب في الحديث عن الماضي،ربمــا هروباً مــن سواده وأخطائــه ، ومنهم من عاد إلى اللــه ليكفّر عن تلك الفترة التي أنكر فيها، مع آخرين، وجــود الله ، وبعضهــم الآخر ساير الأوضــاع والظروف والمتغيرات وصلى في الصفوف الأولى وأطلق لحيته وأفتى على استحياء ، لكن ثقافته وعقله المؤسس عليها لا يزالان يرجعــان إلى الأدبيات الحزبيــة القديمة .فها نحن نرى هذه الأيــام بعضهم قد حلقــوا لحاهم وتركــوا الصلاة وعادوا لبعض عاداتهم القديمة .

والحزب الاشتراكــي قد توزّع في الوقــت الحاضر إلى مجاميــع ، ولكن يمكن توزيعهــم إلى مجموعتين رئيستين،

الأولى القيـادات الحزبيـة العليـا للحـزب الاشتراكـي وحافظـت على نفسـ الاسم. وهـي الآن تقريباً من غير قاعـدة. والمجموعـة الثانيـة وتضم الأمين العـام السابق للحزب علي سالم البيض والقيـادات الوسطية ومادونها لمنظمـات الحزب ومـاكان يسمـى بأمن الدولـة والجيش والمليشيا ومنظمات الدفـاع الشعبي ،ومعظمها الآن تقود الحراك الجنوبـي ، وقواعدهم ليست حزبيـة فمعظمها من الشبـاب وليس لهـا علاقة بالحـزب الاشتراكي المعروف ولا بأفعالـه وممارساتـه ولكنهم مندفعـون معهم لأسباب مختلفة، فمنهم العاطل عن العمل وهم الأغلبية وقد منوهم الأماني وموعودون بالأعمال بعد النضال ضد من حرمهم مـن العمل !!؟ ومنهم من تعرضـ أو أحد أقربائهم لمظالم وهم موعـودون أيضاً بتحقيق العدالـة ورد المظالم عنهم. ومنهـم من كان يطمح بوظيفة محددة أو منصب ولم يوفق بذلـك فهم موعـودون بأحسن من تلـك الوظائف وبعض الوجاهات والمشايخ والشخصيـات الذين حاربهم وجار عليهم الحزب موعودون بمكانات أرفع ،لأن الحزب غلط في حقهـم !! وظلموا أيضاً بعد الوحدة ولم تُعط لهم مكاناتهم التي تليق بهم !!!؟

وبشـكل عـام فإنهم قد دغدغوا عواطـف ونفوس من انضمـوا إليهم وأوحـوا إليهم بالمناصـب والوظائف التي يستحقونهـا بعد تحقيـق أهدافهم بالانفصـال. وأنهم هم

قيــادات الحراك لا يبحثون مــن وراء عملهم في الحراك إلا تصحيح الأخطــاء التي ارتكبها الحــزب بالوحدة اليمنية وكانوا هم مشاركين في هذا الخطأ ويوحون إلى من يستمع إليهــم وكأنهم قد أصبحوا بنقاء الملائكة ومترفعين عن أي شــيء سوى القيادة نحو تصحيــح الأخطاء ورفع المظالم، ويوحون للآخريــن بالمراكز والمناصب التــي سيوزعونها عليهم وكأنهم هم زاهدون فيها .

لقد أوردتُ في هذا الكتيب الشيء القليل من ممارسات وسياســات وأخلاقيات وأدبيات هــؤلاء الذين لا يستطيع بعضهــم الأكــثر التعامل بغيرها حتى ولــو بدلوا جلودهم حسب الظــروف ومسمى حزبهــم والمصطلحات الحديثة التــي يستخدمونها ، فقد عُجنوا بماء ثقافــة خبيثة متقلبة لاتؤمــن ولا يستطيعــون هم أنفسهم الفــكاك منها (فمن شب علــى شيء شاب عليه) إلاّ من رحــم الله وكان من حــق أهلهــم ومجتمعهم عليهــم أن يكفروا عمّــا ارتكبوه بالبقــاء بين أسرهم وأهليهــم والعيش بسلام طالما لم تفتح ملفات الماضي وتُنبشــ الأحداث والممارسات ومرتكبيها .. إن الهــدف مــن هذا الكتيب هو تبصــير الشباب وحتى من هــم دون الأربعــين أو حتى من هــم دون الخمسين من العمر والذين لم يعايشوا ولم يعوا فترة حكمهم وتفاصيل ممارساتهــم خاصة بين الاستقلال وعام ١٩٨٦ م ، والتي كانت كلها إثــارة عواطف وكذب وغــدر وإرهاب وأفعال

صدامية وتصفيات جسدية وصراعات وتوترات واقتتال وتقاتل مع الدول المجاورة وتبني نظرية وثقافة سقطت في كل العالم لفسادها وسوء تقدير من أخذ بها ، وإخراج المحافظات الجنوبية من الاستعمار القديم وإدخاله تحت استعمار أخبث وهو الاستعمار الجديد .ووصل معدل التوترات أو الاقتتال إلى معدل توتر أو اقتتال بالعام الواحد وكلها من أجل الكراسي ،وبعض قادتهم أقر بذلك،بشكل واضح وجلي . وماكانت الشعارات والمسميات التي تطرح للشعب بعد تلك الأحداث إلا تغطية وإفكاً . كما اعتُبر الكتيب تذكيراً لمن عايش تلك الفترة ونسي ماجرى فيها، (فالمؤمن لايلدغ من جحر مرتين)، لأن من ارتكب كل تلك الأخطاء والموبقات وسبّب كل تلك المآسي والمعاناة لايجب أن يُعطى أي فرصة ولايجب أن تُقبل منه أي مبررات ، مهما كانت دعاواه ومهما أحسن القول فيها ،فقد فعل أكثر من ذلك في المرة الأولى ثم كشف عن وجهه الحقيقي بعدها وأثبت مرات عديدة أنه غير صالح لولاية الأمر وأن مجاميعه الكثيرة متهالكة إلى حد التدمير من أجل السلطة والكراسي .

إنهم يقولون الآن بالتصالح والتسامح ، وقد قالوا بمثل هذا بعد كل توتر واقتتال بينهم أيام حكمهم فابحثوا هل كانوا يقفون عند أقوالهم تلك ؟! إنهم يدعون كل القوى إلى أن تنظم إليهم حتى تلك التي أنكروها ودمروها على أيام

حكمهم !! فاقرؤوا عمّا يعنيه عنوان (التحالف المرحلي) و (المواقف المرحلية) في أدبياتهم التي لايملكون ثقافة غيرها. أنظروا إليهم هذه الأيام وهم يحتفلون بيوم الشهداء ، حتى الذيـن قاموا بتصفيتهم على أيـام نظامهم اعتبروهم الآن شهـداء ! ! ؟ وضحايا صراعاتهـم شهداء ومن غرروا بهم هـذه الأيام شهـداء - ولا أحد يزكي علـى الله - صفوا وقتلوا من قتلوا في الماضي ليصلوا إلى المصالح والسلطة والآن وهـم أمـوات يحتفلـون بذكرى من أنكـروا عليهم الحياة فقتلوهم ويستخدمونهم أمواتاً لنفس أغراضهم (إن لم تستـح فافعل ماشئت)، قتلوهم ليصعدوا على جثثهم ، واحتفلوا بهم ليصعدوا على ذكراهم ! ! .

صحيح أنهم لن يستطيعوا أن يأتوا بالاشتراكية من جديد فقـد ولّى زمانها وهم يعرفون ذلك جيـداً ، وصحيح أنهم يعملون خارج مسمى الحزب الاشتراكي لعلمهم الأكيد أن ورقته محروقة ولـن يستطيعوا إقناع الآخرين بالانضمام إليهم تحت ذلك الاسم ، إلا أن من غير الصحيح أن ثقافتهم وعقلياتهم التي بنيت عليها قد تغيرت حتى وإن استخدموا مصطلحات الحقبة الراهنة وطالبوا بمستحقاتها.

عندما اطلع صديقي الذي اقترح علي كتابة هذا الموضوع علـى ماكتبته قال : لقد ذهبـت في الموضوع أبعد مما كنت أعتقـد ، ولذلك فإنه يتوقـع أن يردٍ علـي وربما يهاجمني البعضـ منهم لأنني نـكأت جراحاً ، وذكـرّت بأمور ربما

نسيهـا الكثيرون ومـا كانوا يرغبون في ذلـك ، قلت له :
ألم تسمـع بقصـة الحاكم الذي استدعى أهـل القرية لأن
أحدهم اشتكى إليه بأن مايملك من الدجاج قد سُرقت منه،
فلما حضروا إلى ساحة منزلـه أعلن للحاضرين شكوى
المشتكي وأردف قائلاً : وما عجبي إلا من وقاحة من سرق
الدجـاج أن يأتي إلى هنا وريش الدجاج المسروق لايزال
علـى رأسه ، فرفع أحد الحاضرين يـده إلى رأسه ينفض
ماقد يكون علق عليه.